الجمهـورية الجزائـرية الديمقـراطية الشعبية
وزارة التعلـــيم العالي والبحث العلمي
جامعة – سعيدة – د. الطـــاهر مولاي
كلية الآداب واللغات الأجنبية
قسم اللغة العربية وآدابها

التخصص: أدب عربي (ل.م.د)

عنـــــــوان المذكرة:

النزعة العقلية وتجلّياتها في شعـــر الحكم

* المتنّبي * – أنمـــــوذجاً

استكمـــــال الدراسة لنيل شهادة ليسانس (ل.م.د)

إعداد الـــــــطالبتين:

✍ مرسلي سليمـــة
✍ بن قدور سعدية

إشراف الأستـــاذ:

✍ عبيد نصر الدين

السنة الجامعية: 1439هـ/1440هـ*** 2018م/2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا والحمد لله

من قبل ومن بعد على نعمه

علينا أتوجه بالشكر الخالص و فائق الامتنان إلى

الأستاذ المشرف الدكتور: عبيد نصر الدين صاحب الفضل في توجيهي

ونصحي.

و أشكر شكرا خالصا جميع أساتذة

سليمة سعدية

إهداء:

أهدي ثمرة عملي إلى وطني الحبيب الجزائر وشهدائها الأبرار، إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة، إلى القلب الكبير الناصع بالبياض أبي لخضر رحمه الله و أدخله فسيح جناته، تمنيت أن تكون حاضرا معي لتفخر بي و تدعمني، لكن ما نفع التمني فقد شاء القدر أن تتركنا هذا العام وتترك في القلب فجوة لن تندمل و حزنا عميقا و كسورا لن يجبرها الزمن ، إلى من أعطتني دون انتظار و سقتني بعطفها الحب و الحنان ، إلى التي أزاحت الأشواك عن دربي لتمهد لي طريق العلم فضحت وصبرت لأجلي ، الجبل الصامد الذي رغم العواصف ما زال أبيا قرة عيني و ملاذي بعد الله أمي خيرة، إلى من هم أقرب مني إلى روحي إلى اللذين شاركوني حضن الأم و الأب و قاسموني حلاوة الحياة و مرها لحظة لحظة إخوتي، كريمة زهرة حياتي و أنيسة وحدتي عبد الله فخري و سندي و تفاؤلي، و الوجه المفعم بالطفولة و البراءة أخي الصغير عادل، إلى من إلتجأت إليهم وقت الحاجة فاحتضنوني و اعتبروني واحدة منهم، صاحبة القلب الطيب خالتي القدارية و الغالي سيدي الطيب، إلى من كبرت بينهم و رافقوني مذ حملنا حقائبنا الصغيرة فبدأنا مشوار العلم معا، بنات خالتي وئام مغنية وحنان و كريمة رحمها الله، و إلى خالي عبد القادر شكرا و تقديرا .

إلى أخواتي اللواتي لم تلدهن لي أمي و أهدتني إياهن الأيام ، شموعي التي تضيء ليالي المعتمة، أغلى الغوالي و أعز الناس على قلبي صديقاتي : سليمة ، مغنية ، خيرة ، فطيمة ، فاطمة ، حليمة ، نصيرة ... إلى تلك الطفلة البريئة المتربعة على عرش الأيام و التي طالما ظلت ترافقني و كنت أتمسك بها خشية أن أضيعها في منحدرات الطرقات ، إلى كل من علمني حرفا ووجهني في مشواري الدراسي ، كل معلمي و أستاذي عبيد نصر الدين، إلى طلبة قسم اللغة و الأدب العربي بجامعة سعيدة الدكتور مولاي طاهر و خاصة طلبة السنة الثالثة أدب عربي الفوج الأول، إلى كل من أحببتهم في الله و زرعوا الابتسامة على وجهي.. و إلى كل صديقاتي و زميلاتي و من يعرفني من قريب أو من بعيد، إلى كل اللذين ذللوا العوائق أمامي و ساعدوني، و كل من أتمنى أن أذكرهم إذا ذكروني.

سعدية

إهداء:

أهدي هذا العمل خالصا لوجه الله فالحمد لله الذي ألهمني الصبر على إتمامه، أهديه إلى الأيام الجميلة التي عشتها و إلى من وهباني تلك الأيام إلى علة كياني و وجودي، إليك يا نبع الحنان يا أمي، إليك يا بر الأمان ويا من بك تتبدد الصعاب أمامي أبي الغالي، أهدي عملي لحرصك و تفانيك لشيبة رأسك التي اشتعلت لتضيء ليا المستقبل يا شمعة حياتي وسر وجودي برؤيتكما يتجدد فيا الأمل كل يوم حفظكما الله يا مصدر إلهامي.

إلى إخوتي سند ظهري اللذين فارقتهم بالجسد لكن الروح بهم تتصل أحمد ومحمد وعبد القادر و بغدادي و إلى زوجاتهم جميعا، أشكر دعمكم لي

إليك يا أبي الثاني خالدو إليك يا عوني في الحياة أختي الحبيبة كريمة كنت لي أمي الروحية، أشكركم أن جعلتموني فردا منكم و منحتموني الفرصة و الأمل لأصل إلى على ما أنا عليه، إليك يا أختي فضيلة شفاك الله و عافاك.

إلى أخواتي التي أنجبتهم ليا الأيام مغنية وسعدية وخيرة وحليمة وفاطمة ونصيرة كنتم لي خير سند في مشواري، إلى كل اللذين رأتني قلوبهم قبل أعينهم وإلى من وسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي، إلى كل من ساهم في إنجاح هذا العمل من قريب أو من بعيد، إلى من ساندني ولو بدعاء، إلى كل من علمني حرفا و أنار طريقي بالعلم، إلى أستاذي عبيد نصر الدين، وإليك أنت أنت بالذات يا من تقرأ في إهدائي هذا، أهدي هذا العمل المتواضع .

سليمة

مقدمة

مقدمة:

مقدمة:

يحتل الشعر في الأدب العربي مكانة كبيرة، حيث يعد من أقدم الفنون الأدبية التي انتهجها العرب من العصر الجاهلي كونه يحمل إرثهم الأدبي وثقافتهم وتاريخهم، فشعرهم لم يكن لهم علم أصح منه، ولقد نزع الشعراء عامة للتزود بجميع ألوان المعرفة لما كانوا يجدون في ذلك من العلوم والمعارف والفلسفات والحكم التي احتلت مكانة هامة في مختلف جوانب الحياة، وجاءت نتاجا لفكر واع متفحص لمختلف الأمور الحياتية، نتيجة لخبرات صادرة من خضم تجاربهم وبطبيعتهم التي عاشوها، تسعى لتصوير القيم العليا التي يتحلى بها الافراد، ولقد اهتم العرب اهتماما بالغا بدراسة الحكمة وتعلمها في مختلف العصور ودعوتهم للأخذ بمبادئ العقل والنظر السليم في الأمور، وهي غرض من أغراض الشعر العربي وفن من فنونه كنا نجده مبعثرا في قصائد الجاهليين ثم أصبح مستقلا بذاته، تنظم فيه القصائد الطوال التي يتم من خلالها إيصال عصارة تجربة الشاعر في حياته إلى الناس من خلال المعاني التي يتم ذكرها في القصائد التي تكتب.

ومن الشعراء اللذين تميزوا بشعر الحكمة اللذين ظلت أبياتهم حاضرة على مر العصور المتنبي الذي يعد من أبرز شعرائها في العصر العباسي، على الرغم من أنه لم يفردها كغرض مستقل، وإنما كانت منثورة في أبيات قصائده مع الأغراض الأخرى، فكان المجرب الذي يهدي الناس إلى الخير والسداد والرشاد، وكانت حكمه تنبعث من شاعريته وتنبض من نفس حساسة أثرت فيها التجارب وصقلها العقل وزينها الشعور، ولم تكن النظرات الفلسفية التي كان يرسمها على سجية قصائده وتطفوا على سطح الحياة قيمتها الفكرية أو لواقعيتها الصارخة، سوى إدراك منه لحقيقة ما يشعر به والتقاط ذهني لواقع الاحساس لما يجري في أحشاء المستقبل.

وقد اعتمدنا على الإشكال التالي: كيف تجلت مظاهر النزعة العقلية في شعر الحكم؟ وهل وفق المتنبي في إرضاء طبيعة الحكمة التي تعتمد على العقل؟

مقدمة:

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي الذي حاولنا من خلاله وصف حياة العرب العقلية وحكمهم ومحاولة تحليلها.

وقد هدفنا من خلال دراستنا لشعر الحكمة ابراز أهمية الحكم في نفوس الناس ودورها في التعبير عن الواقع الاجتماعي، وإظهار ما تشمل عليه من قيم إنسانية عليا ينبغي أن يتحلى بها أفراد المجتمع ويرجع سبب اختيارنا لدراسة موضوع النزعة العقلية وتجلياتها في شعر الحكم، لما للعقل من أهمية في تقويم النفوس وتصويب الحكمة التي يعتمدها الناس فتصلح لكل زمان ومكان.

و قد اخترنا المتنبي بصفة خاصة لما في شعره من شمولية، فقد تطرق إلى معظم الأمور الحياتية الخاصة بطبيعة النفس البشرية، كما تضمن أيضا معان كثيرة كان لها أثر على حياة الناس الذين اتخذوها مثالا لهم لما فيها من عبرة ونصح وتوجيه، ومن أنه لا يوجد بحث خال من الصعوبات ولكنا بفضل الله تجاوزناها.

وقد قسمنا بحثنا إلى مقدمة و ثلاثة فصول كل فصل يحتوي على ثلاث مباحث، تحدثنا في الفصل الأول عن النزعة العقلية عند العرب وحاولنا تتبعها من العصر الجاهلي إلى عصر المتنبي، أما الفصل الثاني خصصناه لشعر الحكم من المدلول إلى أعمق المعاني، محاولين الوقوف على تطوراته في مختلف العصور، والتركيز على كل ما يتعلق بهذا الموضوع من خصائص وموضوعات، أما بالنسبة للفصل الثالث فقد تحدثنا فيه عن حكم المتنبي في شعره وعن مصادر هذه الحكم وموضوعاتها وحاولنا أن نعقد موازنة بين حكم المتنبي والشعراء الآخرين خاتمين بحثنا هذا بعدة استنتاجات بهدف تسليط الضوء على أهم النقاط في هذه الدراسة، مضيفين إلى ذلك ملحقا تناولنا فيه حياة المتنبي و شعره.

ونجد أن شعر المتنبي تناولته العديد من الدراسات وعولج من عدة زوايا و لعل من أبرز الدراسات السابقة لهذا الموضوع كتاب فجر الإسلام لأحمد أمين، وشعر الحكمة عند المتنبي بين النزعة العقلية والمتطلبات الفنية لحسين شلوف وكتاب الحكمة في شعر المتنبي ليسري سلامة.

مقدمة:

وفي الختام نرجوا أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا، و أن يكون له إضافة و إفادة و لو بالشيء القليل فإن بلغنا مقصدنا و أصبنا فلله الحمد و إن أخطأنا فحسبنا أن ننال شرف الاجتهاد.

الفصل الأول

المبحث الأول : النزعة العقـــــــلية عند العرب الجاهلين.

01- مظاهر الحياة العقلية عندهم :

أطلق مصطلح الجاهلية على الفترة التي سبقت ظهور الإسلام وهي الحالة التي كان فيها العرب من جهل بالله سبحانه ومن المفاخرة بالأنساب وغير ذلك؛ وليس كما يبدو من أولّ وهلةٍ بأنّها الجهل بالعلم والثقافة، أو الجهل بالقراءة والكتابة إلى غير ذلك من المقومات الحضارية التي كان العرب على شيء منها قبل الإسلام، وقد كانوا يتميّزون بالذكاء وحضور البديهة وفصاحة القول لذلك كان أكبر مظاهر حياتهم الفكرية لغتهم وشعرهم وخطبهم و أمثالهم.

اللغــة : تدل اللغة على الحياة العقلية من ناحية أنّ لغة كلّ أمة في كل عصر مظهر من مظاهر عقلها، فلم تخلق اللغة دفعة واحدة ولم يأخذها الحلف عن السلف كاملة " وتعدّ اللغة العربية إحدى اللغات المشتقّة من الأصل السامي وكانت في العصر الجاهلي منقسمة على لسانين الحميري في الجنوب والعدناني في الشمال "[1]؛ وهما يختلفان كل الاختلاف في الأوضاع وإن تشابها في بعض تراكيبهما، وهي تعدّ أداة للتعبير عن النفس وعامل مهم في حياة الأمّة؛ " يقوم عليها أساساً المقوّم الفكري لأي حضارة فهي الوسيلة الوحيدة لنقل المعارف والفنون والآداب من جيل إلى جيل "[2].

[1] – البستاني ، بطرس : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، ط 1، 2014م ، ص؛ 27.

[2] – الشيخ ، حسين : العرب قبل الإسلام ، دار المعرفة ، د.ط ، 1993م ، ص ؛ 28.

وقد كانت لهجة مكة على رأس كل اللهجات القبلية في الجاهلية، " وإنّما صارت لغتهم الأصل لأنّ العربية أصلها إسماعيل عليه السلام، وكان مسكنه مكّة "[1].

ومنه يمكن للقول أنّ اللغة الجاهلية لغة قوية التعبير وخشنة ألفاظها غريبة وموجزة وهي ملغمة ، بحيث أنّها حافلة بضروب الكناية والمجاز.

وقد شاع كثير من النّاس، أنّ العرب قبل الإسلام أمّة أمية لا يعرفون الكتابة وقد شاع بين كثير من الناس أنّ العرب قبل الإسلام، أمّة أمية لا يعرفون الكتابة ، ولكن " لم تعدّ معرفة العرب لها – الكتابة – موطن شكّ، فهناك كثرة منهم في الحواضر وقلّة في البادية كانت تقرأ وتكتب ولم يعد مناط اختلاف أنّ بعض من آثارهم قد دوّن"[2].

" فبالكتابة تمكنّوا من تدوين التراث بدلاً من الاعتماد على الحفظ " وقد وجد معلمون يعلّمون القراءة والكتابة وضروباً من العلم منها أخبار الأولين وقصص التاريخ"[3].

ومنه يمكن القول، أنّ المصادر تجزم أنّ الكتابة العربية قديمة، وقد عرفها العرب قبل الإسلام إلاّ أنّها كانت في صورة ساذجة لا تتجاوز متطلّباتهم وليست سوى تقييد لشؤون الحياة.

الشعـــر : إنّ القصيدة العربية تعتبر الآلة المصورة لحياة الناس وتقاليدهم وبيئاتهم تصويراً دقيقاً لم تغفل عن أدنى شيء والشاعر هو لسان قبيلته الناطق باسمها؛ وقد عرّفنا الكثير عن حياتهم البدوية عن

[1] – الرافعي، مصطفى صادق : تاريخ آداب العرب ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، د.ط ، د.ت ؛ 73.

[2] – مكي ، الطاهر أحمد: دراسة في مصادر الأدب ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط8 ، 1999م ، ص ؛ 13.

[3] – الأسد، ناصر الدين: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1956م ، ص؛ 52.

طريق الشعر الذي يعتبر ديوانهم وقد وصلتنا القصيدة العربية بصورتها التامّة من وزن وقافية وعان وأسلوب محكم في الصياغة؛ " فيستحيل أن نعرف طفولة الشعر العربي القديم، فقد ظهر مقنّناً على أيدي شعراء الجاهلية، فالقصيدة الجاهلية ناضجة مكتملة التكوين سليمة النظم[1].

وقد كانت القصيدة تحمل كل القيم العربية النبيلة، وتتميّز بالصدق في تصوير العاطفة والابتعاد عن الغلوّ والمبالغة والتكلّف؛ " وموضوعات الشعر عندهم هي موضوعات حياتهم من مديح وفخر وهجاء وغزل ورثاء ، وهي تمثّل حياة العرب في صحرائهم"[2].

المثل : كان للعرب في جاهليتهم أقوال كثيرة ذهبت أمثالاً منها ما كان شعراً ومنها ما كان نثراً، وقد حظيت بمكانة عالية في الدلالة على الثقافة وتتفاوت هذه من حيث قيمتها فبعضها يكشف عن ذوق رفيع وبعضها سخيف، وهي في جملها القصيرة تمثّل بلاغة الجاهلي وإيجازه؛ " والمثل هو قول محكي سائر يقصد منه تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله "[3]، ولا يكون المثل مثلاً إلاّ إذا اتّسم بالقبول واشتهر بالتداول بدون تغيير في لقطة وهو نابع من البيئة ومن صميم الحياة الإنسانية.

02- **علوم العرب في الجاهلية** : أصاب العرب سهماً غير قليل من الحضارة عبر التاريخ وهذا دليل على حيوية المجتمع العربي وعلى قدرته على بعث الحضارة، ويعتبر القرن الذي سبق ظهور الإسلام من أهم الفترات في تاريخ العرب، ولكن أتى عليهم حين من الدهر تأخرّت

[1] – عروة، عمر ، حياة العرب الأدبية الشعر الجاهلي ، دار مدني ، د.ط ، 2011م ، ص ؛ 99.

[2] – العيثاوي، أحمد حسن: دراسات أدب العرب قبل الاسلام، دار الدجلة، ط1، 2011، ص؛ 5

[3] – طقوش، محمد سهيل: تاريخ العرب قبل الاسلام، دار النفائس، لبنان، ط1، 2009، ص؛ 146.

فيه حياتهم العقلية والعلمية تأخراً ملحوظاً بالمقارنة مع ما كان سائداً في أوساط غيرهم من الأمم والشعوب التي كانت تجاورهم من " يونان" و"رومان" و" هنود" حيث العلوم والآداب والفلسفات ،" والتي كان أول من عرفها اليوناني نتيجة لنظرته العامّة إلى العالم وتوجيهه الكثير من الأسئلة لنفسه كانت أساس فلسفته ومبناها "[1]؛ فالواقع أنّ العصر الجاهلي كان عصراً فقيراً فكرياً وثقافياً "؛ كما أنّ البيئة الصحراوية وحياة الحل والترحال لم تسمح لهم بإقامة علوم ومعارف عربية "[2]، وقد غلب عليهم جوّ البداوة، فلم يستطيعوا له دفعاً وهو أمر طبيعي تمرّ به الأمم أثناء سيرها للحضارة ، وخيّم عليهم التأخر الذي ظهرت معالمه في جميع أرجاء حياتهم؛ فمن غير الطبيعي أن يتمتّعوا ويتوسّعوا في العلوم والمعارف؛ فالحياة العقلية عند العرب شبيهة إلى حدّ بعيد بالحياة العقلية عند جميع المجتمعات في طور بداوتها " فلم نجد لهم فلسفة أو علماً له قواعد وأصول أو فكراً مقنّناً له معالمه الواضحة وذلك لافتقادهم التعليل أي عدم القدرة على فهم الارتباط بين العلّة والمعلول والسبب والمسبب "[3].

فنلاحظ أن علمهم يقتصر على ما يحتاجون إليه في حياتهم الفطرية، وقد يتبادر إلى الأذهان أنّ أولئك البدو كانوا أهل جهالة وهمجية لبعدهم عن المدن وانقطاعهم للغزو والحرب؛ ولكن يظهر مما وصل إلينا من أخبارهم، أنّهم " كانوا كبار عقول، أهل ذكاء ونباهة واختيار وحنكة وأكثر معارفهم

[1] – عبد الحميد علي ، عبد الرحمان : تاريخ الأدب في العصر الجاهلي ، دار الكتاب الحديث ، دط ، 2008 ،ص ، 32.

[2] –كامش، أحمد: الأمثال العربية القديمة و دورها في تصوير الحياة العربية، رسالة ماجستير ، جامعة قسنطينة، 2003 ص؛247.

[3] – أمين، أحمد: فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي، لبنان، ط10، 1969م، ص؛ 39.

من ثمار قرائحهم وهي تدل على صفاء أذهانهم في الطبيعة وأحوال الناس ممّا لا يقلّ عن نظر أعظم الفلاسفة "[1].

وقد كان التتابعة في اليمن و المناذرة والغساسنة في لشمال على حظّ من الحضارة ولوازمها من العلوم والفنون والصناعات، فنجد أنّ عرب اليمن الحواضر أوسع علماً وحضارة من عرب البادية "وقد جمعتهم صلات تجارية واسعة مع الحبشة والهند والفرس وغيرها استمرّت حقبة من الزمان "[2] فاكتسبت شهرة عالمية؛ "من خلال سيطرتها على طرقها الخارجية التي تربط بلاد الشرق (الهند والصين) بالجزيرة العربية وشمال إفريقيا "[3]؛ ونجد أنّ عرب الجنوب كانوا أوسع حضارة من عرب الشمال، فعلى الرغم من أنّهم لم يكونوا منقطعين عن التأثيرات الأجنبية، إلاّ أنّهم لم يتركوا لنا شيئاً مكتوباً في بدوهم ولا في حضرهم، وإن كان شيء من ذلك فهو جمل يسيرة لا تفيد في استجلاء حقيقة أمرهم، فالمعروف عنهم أنّهم كانوا أهل تجارة؛ ولهذا تمكّنوا من الامتزاج بمختلف الثقافات ولكن على الرغم من هذا لم يهتمّوا بعلومهم المختلفة؛ " فملوك العرب الشماليين في الجاهلية لم يعتنوا بشيء من علوم الفلك والفلسفة "[4].

عموماً لم يكن العرب أهل بداوة ورعي فقط، فقد عرف بعضهم حياة القصور والحصون؛ " فأقيمت في اليمن أبنية عظيمة وقصور مشيّدة أهمها: " قصر غمدان " في صنعاء. كما اكتسبوا

[1] – جرجي، زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، د.ط، 2012م، ص؛ 39.
[2] – شلبي، أبو زيد : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط، 2012م، ص؛ 28.
[3] – مهدي الرحيم، عبد الحسين : تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة، طرابلس، د.ط، 1995م، ص؛ 52.
[4] – فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين لبنان، ط1، 1972م، ص؛ 157.

خبرات فنية وهندسية تجلّت في إقامة السدود والآبار؛ويعدّ سدّ مأرب أرقاها من الناحية الهندسية "[1]؛ كما أنشأوا حياضاً بهدف تخزين مياه الأمطار والإفادة منها عند الحاجة وقت الجفاف.

وأخيراً؛ يمكن القول أنّهم كانوا على حظّ من العلوم يدلّ عليه ما أقاموه من السدود، وأحبوه في الأرض وعمرّوه من المدن ولكن درجة رقيّهم وحقيقة علومهم لا تزالان سرّاً مطوياً في جوف الأرض.

" أمّا سكان وسط الجزيرة في الحجاز ونجد فقد كانت لهم حضارة أيضاً، وكانوا ضاربين بسهم غير قليل في الحياة الراقية التي لا تقلّ عن حضارة عرب الشمال وعرب الجنوب "[2]؛ فرغم كل المعوّقات التي كانت في بيئتهم إلاّ أنّهم استطاعوا أن يتغلّبوا عليها وسدوا حاجتهم بما توصلوا إليه من معارف بسيطة وتجارب اعتمدت على الملاحظة واضطرار الحاجة " واعتمدوا في تحصيل ذلك القدر اليسير على قوّة الذاكرة في حفظ أنسابهم فهم يعلّقون أهمية كبيرة على نسبهم لأنّ فيه معرفة أصول القبائل وفروعها وقرابات بعضها ببعض لحفظ رابطة الدم التي تمسك القبيلة، ثم يتناقلون بما يسرته ذاكرتهم أخبار أيّامهم المشهورة وهي حروبهم ومعارفهم؛ كما يعولون على ذكاء الفطرة عند بعضهم وعلى التجربة المحدودة والمطالعة المتكرّرة في لوح الطبيعة المكشوف لأعينهم "[3]؛ فكان أن أصابوا حظّاً بدائياً في الفلك فعرّفوا النجوم ومطالعها وأنوائها وعرّفوا مهاب الريح ومواسم الأمطار، يقول صاعد بن أحمد:" كان للعرب معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغايبها وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على

[1] – ينظر : سقال، ديريزة : العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1، 1972م، ص؛ 157.

[2] – طلس، محمد أسعد: التربية والتعليم في الإسلام ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، د.ط، 2014م، ص؛ 13.

[3] – معوض، سليمان: مدخل إلى الأدب العربي ، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، د.ط، 2014م، ص؛ 13.

حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في أسباب المعيشة، لا على طريق تعلّم الحقائق ولا على سبيل التدرّب في العلوم "[1].

فقد كان العربي يميل إلى العلوم لحاجته إليها، كما تميّز بنظرته الجزئية إلى الأمور بعيدة عن الشمولية كما كان الحال عند اليونان،" فيتّسم انتاجهم الأدبي بضعف المنطق في غالبيته وعدم الترابط بين الأفكار، وقد اكتسبوا بعض المعارف بالتجربة الظاهرة وقادتهم إليها طبيعة حياتهم المنتقلة وغير المستقرّة "[2]، ونجدهم يهتمّون بالطب فألموا به إلماماً بدائياً، فكانوا يعالجون موضع الجرح بالكي بالنار وبعض العقارات النباتية، وحاجتهم إلى الحيوانات وخصوصاً الإبل والخيل؛ دفعتهم إلى التفنّن في علاجها وبيطرتها، فعرفوا كل ما يتعلّق بها وحاولوا مداولتها والاهتمام بها، " فالعرب لم يجهلوا أهمية حفظ الصحة؛ فقد كانوا يستعملون الأشربة واللعوق واللزفات والمراهم والدهان والمياه....الخ " [3]؛ وقد أفادوا كثيراً من خبرة جيرانهم الكلدانيين فيه.والطب العربي القديم ذو شقين:

" شق يعتمد على العقاقير والنباتات والمداواة المادية من كي وجراحة وقص وبتر وشق "[4]؛ وقد كان لهم في هذا النوع من الطب فضل وعلم وافر ومن أمثالهم فيها " آخر الدواء الكي ".

" أمّا الشق الثاني فقد كان العرب الجاهلين عاجزين عن تفسير أسباب المرض تفسيراً علمياً، لذا اعتقدوا أنّها تعود إلى " غضب الآلهة على النّاس وإلى أرواح شريرة تصيب الجسم، فكانوا يستطبون

[1] – شوقي، ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط11، د.ت، ص؛ 84.
[2] – الحاج حسن، حسين : حضارة العرب في صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية، لبنان، ط1، 1992م، ص؛ 26.
[3] – لوبون، غوستاف : حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، د.ط، 2012م، ص؛ 509.
[4] – طلس، محمد أسعد: التربية والتعليم في الإسلام، المرجع السابق، ص؛ 18.

بالسحر والرقي والتعاويذ والتبرك بالهياكل والتوّسل إلى الأصنام بتلاوة العزائم والرقي ولطرد الجنّ والشياطين من الجسم ودفع الأذى، والشرّ وجلب النعيم والخير "[1].

كما كانوا يزعمون أنّ الشياطين الساكنة في المريض تخرج منه بالضرب الموجع، وهي المسببة لكل الأمراض المستعصية وانتشر فيهم الكثير من الخرافات كإيمانهم بأنّ دم السادة يشفي من الكلب وأنّ عظام الميّت تشفي من الجنون، أمّا في البادية، فالطب بدوي متوارث لا يتغيّر ولا يتبدّل، يقوم على المداواة بتجارب العارفة في الطب " ولا يطمئن الأعرابي إلى طب أهل الحضر مهما فتكت به الأمراض وأنزلت نجّه من آلام، ذلك أنّ طب أهل الحضر هو طب غريب عليه بعيد عنه فهو لا يطمئن إليه، يقول " ابن خلدون:" للبادية طب يبنونه بغالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص، متوارثة من مشايخ الحي وعجائزه "[2]؛ وكان للطبيب منزلة كبيرة عند الجاهلين." على نحو ما كان لـ: " زهير بن حناب الكلبي الثعلبي "، ومع مرور الزمن ازدادت الحاجة إلى أشخاص يتمتّعون بمؤهلات طبية : فارتقى عدد من الأطباء أمثال " الحارث بن كلدة الثقفي " و" النضر بن الحارث " و" ابن حذيم" ويقال فيه أطب من حذيم وغيرهم "[3].

كما شاع عند العرب العرافة والكهانة؛ " ويختلف الكاهن عن العرّاف، فالكاهن يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الأزمان....؛ أمّا العرّاف فهو الذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان

[1] – طقوش، محمد سهيل : تاريخ العرب قبل الإسلام، المرجع السابق، ص؛ 202.

[2] – ابن خلدون، عبد الرحمان ابن محمد : المقدمة، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت، ص؛ 419.

[3] – طقوش، محمد سهيل : تاريخ العرب قبل الإسلام، المرجع نفسه، ص؛ 203.

الضالة "[1]، وكذا الزجر وقد شاع في العرب زجر الطير والوحش وإثارتها، " فمن اتجه منها ناحية اليمين سمّوه سانحاً، وما تياسر – أي جاء من اليسار – سمّوه بارحاً وما استقبلهم فهو الناطح، وما جاء من خلفهم فهو العقيد، واختلفوا في تفاؤلهم وتشاؤمهم بها، فمنهم من تشاءم بالبارح، لأنّه لا يمكن رميه إلاّ بالانحراف إليه، ومنهم يتبرّك بالسانح ومنهم من يرى عكس ذلك...، وهم يعتبرون الغراب أنكد وأبشع إخباراً "[2].

وقال صاحب القاموس المحيط:الزجر والعيافة،أن تعتبر بأسماء الطير.ومساقطها وأنواعها فتسعد أو تتشاءم والعائف المتكهّن بالطير أو غيرها.

كما كانوا " يضربون الثور ليشرب البقر فكانوا يزعمون أنّ الجنّ تركب الثيران فتصد البقر عن الشرب كما كانوا يفقؤن عين أحد الإبل إذا بلغت ألفا ظنا منهم أنّ هذا يكف العين عنها "[3].

وانتشر بين العرب أيضاً القيافة الفراسة " وهي الاستدلال بهيئة الشخص وكلامه وظاهر أعضائه على أخلاقه وصفاته، فهي ضرب من الفراسة ومثلها " القيافة "، وكان من يتّصف بهما يكون على جانب كبير من قوّة الحس وبراعة الإدراك، بحيث يهتدي إلى تقصّي الأثر ومعرفة آثار الأقدام وغيرها وبلغوا في ذلك شأناً بعيداً خاصة " بنو مدلج " و" بنو لهب"[4].

[1] – محمود، عرفة محمود : العرب قبل الإسلام، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، ط1، 1995م، ص؛ 301.

[2] – الحوفي، أحمد محمد: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة، مصر ط2، د.ت، ص؛ 390.

[3] – نافع، محمد مبروك : عصر ما قبل الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، د.ط، 2017م، ص؛ 186.

[4] – عبد الحميد علي، عبد الرحمان : تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، المرجع السابق، ص؛ 35.

ومن كل هذا؛ يتّضح لنا أنّ حياة العرب ظهر فيها طابع البداوة في كل مسالك حياتهم العقلية"ولا تنكر أنّه ظهر فيهم أناس أنكروا تلك الخرافات مثل : " لبيد بن ربيعة "، يقول :

لَعُمْرُكَ مَا تُدرَى الطَوَارِفُ بِالحَصَى *** ولاَ زَاجِرَاتُ الطَيرِ مَا اللهُ صَانِعُ.

ولكن ذلك كان نفر قليل ضاع صوته في تلك الجهالة "[1].

ومن كل ما سبق، نستنتج أنّ العلم يكون نتيجة الحضارة وفي مثل الظروف التي عاشها العرب لا يكون علم منظم ولا علماء، إذ أنّ وسائل العيش لا تتوافر إلاّ ما كانت تهديهم إليه الحياة الطبيعية والعقل الفطري؛ أمّا الفلسفة بمفهومها العلمي المنظّم، فلم يصل إليها العرب في جاهليتهم وإن كانت لهم خطرات فلسفية لا تتطلّب إلاّ التفات الذهن إلى معنى يتعلّق بأصول الكون.

[1] – الصعيدي، عبد المتعال : تاريخ العرب في الجاهلية فصدر الإسلام، د.ط، 1933م، ص؛ 52.

المبحث الثاني: النزعة العقلية في عصر صدر الإسلام.

العلوم العقلية في أوائل الإسلام : كان ظهور الإسلام حدثاً عظيماً غيّر معالم الحياة العربية التي سادت في العصر الجاهلي، وذلك لما حمله من قيم إنسانية جديدة، فتمّ له جمع شتات قبائل متناحرة وجعل منها خير أمّة أخرجت للناس؛ ودأب على استئصال طبائعهم جاعلاً مدار التفاضل بين الناس على التقوى والعمل الصالح؛ "ولم يكن تأثيره في العقلية العربية والفنون الأدبية، آتياً من جهة عقيدته وشريعته وروحه فحسب، وإنّما أثر فيها كذلك من جهة ما نشأ عنه من الفتوح وخروج العرب من جزيرتهم إلى الجهاد، وانتشارهم في مختلف البلاد وتأثيرهم في العقليات المختلفة "[1]؛ وقد اهتم الإسلام منذ أنّ وجد بالعلم والعلماء، " ودعا الرسول صلّى الله عليه وسلّم الناس إليه وحثّهم عليه وكان بعدّ معركة بدر يطلق الأسير، إذا علم عشرة صبيان الكتابة والقراءة....،كما دعا إلى تعلّم اللغات الأجنبية "[2]؛ وذلك ليتقي شرّ الأمم الأخرى، ويرفع مستواهم العقلي، فيطلعوا على أحوال الأمم الأخرى وتاريخها، وبهذا تتنوّع ثقافة المسلمين. والملاحظ لحالة العرب في أوائل الإسلام يجدها في خمول :" وذلك أنّ الملّة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة بمقتضى أحوال السذاجة والبداوة، وإنّما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه "[3].

[1] – نسرين، طاهر ملك : النثر الجاهلي والإسلامي والأموي (دراسة تحليلية)، مجلة إيكتا إسلاميكا، المجلّد 02، العدد 1 2014م، ص؛ 116.

[2] – محاسنة، محمد حسين : أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتّحدة، ط1 2000م، ص؛ 129.

[3] – دي طرازي، فيليب : خزائن الكتب العربية في الخافقين، دار الكتب اللبنانية، بيروت، د.ط، د.ت، ص؛ 04.

كما تعرّض إلى أعراف العرب وتقاليدهم وعاداتهم التي كانت معروفة ومنتشرة عندهم" كالسحر والفأل والتطير، فظهر لعلمائه أنّها علوم لا يصح الاشتغال بها فنهى عنها صوناً للأمة وحفظاً لها من وقوعها "[1]؛ كما أقرّ بعضها الذي لا يتناهي مع أحكامه وآدابه وعدل ما يمكن تعديله وبهذا نجد أنّ المسلمين اتّجهوا اتجاها عقلياً جديداً، وابتعدوا عن الخرافات التي كانت لهم في الجاهلية ثمّ أخذوا بالمنطق والتفكير عند معالجة الأمور، واجتهدوا في طلب العلم، مما نجده مبسوطاً في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف.

فقد أشار القرآن إلى جوانب من العلم والفلك والطب وغيرها، " فنجد فيه حقائق تتعلّق بالفلك وعلم طبقات الأرض والجغرافية وعلم النبات والحيوان، كما نجد أنّ الرسول يوصي بالاعتدال في كل شيء؛ فيأمر بما يحفظ الصحة وينهي عن ما يضرّ بها، فالطبّ في صدر الإسلام كان يدور في الأكثر على الوقاية "[2].

ومنه يمكن القول ؛ أنّ الطب قد احتل مكانة مرموقة في الإسلام، فقد أوصانا الله بالاهتمام بالأبدان لأنّها أوعية الأرواح، كما اعتنى به العرب عناية فائقة واستفادوا من كتب من سبقهم من اليونان وأهل الفرس وغيرهم؛ "ومعظم ما اشتغل به المسلمون في صدر الإسلام من العلوم مرجعه إلى القرآن فهو المحور الذي تدور عليه العلوم الأدبية والإسلامية "[3]، فقد رفعت تعاليم الإسلام من

[1] – رشدى، محمد : مدنية العرب في الجاهلية والإسلام، مطبعة السعادة، مصر، د.ط، 1911م، ص؛ 20.

[2] – ينظر: فروخ ، عمر: كتاب العرب في حضارتهم وثقافتهم إلى آخر العصر الأموي، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، 1966م، ص؛ 141.

[3] – جرجي، زيدان : تاريخ التمدّن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، لبنان، ج3، د.ط، د.ت، ص؛ 44.

المستوى العقلي للعرب إلى درجة كبرى ونقلتهم من عبادة الأصنام والأوثان وما يقتضيه من انحطاط في النظر إلى الوحدانية.

ومنه نرى أنّ الدين الإسلامي أتى بتعاليم جديدة ورسم للحياة مثلاً أعلى يخالف ما كان سائداً في العصر الجاهلي، " فاتّجه المسلمون إلى ميادين العلوم وكان الهدف الأول من الاهتمام بهذه الموضوعات معرفة أسس تحديد المواقيت واتّجاه القبلة، فاستطاعوا باستخدام الهندسة أن يحدّدوا اتّجاهها وباستخدام الفلك أن يحددوا بداية شهر رمضان "[1]، ونجد أنّ هذه العلوم كانت تدرس في المساجد التي " تعتبر أعظم معاهد الثقافة لدراسة القرآن والحديث والفقه واللغة وغيرها من العلوم منذ لحظة إنجاز المسجد الأول في المدينة وطيلة القرون التالية "[2].

أمّا بخصوص الشعر؛ فإنّ الإسلام لم يتّخذ موقفاً معادياً منه بل من أولئك الشعراء اللذين هجوه ورسوله وصدوا عن سبيل الله، واللذين تضمن شعرهم هدم القيم الحميدة ولمز الأعراض، كما فرض عليه مبادئ كتجنّب الهجاء المقذع والغزل الفاحش والمبالغة في المفاخرة بالأنساب، " وقد قل في صدر الإسلام الأول وخف لقلة الدواعي إليه، فما كان يظهر إلاّ الحين بعد الحين في صادق المدح والرّثاء "[3].

[1] – الدفاع، علي عبد الله: لمحات من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، د.ط، د.ت، ص؛ 26.

[2] – خليل، عماد الدين : مؤشرات حول الحضارة الإسلامية، دار الصحوة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص؛ 43.

[3] – ينظر : الزيات، أحمد حسن : تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، لبنان، ط13، 2009م، ص؛ 79.

وفي الختام يمكن القول أنّ الإسلام رفع من مستوى العقلية العربية وقضى على كل الخرافات والعادات السيّئة التي كانت سائدة في العصر الجاهلي، وقد كانت العلوم في الصدر الأول منه في طور بداوتها، لأنّه كان ما يزال يصححها وينقّحها لكي توافق مبادئه وتعاليمه، ونلحظ أنّ العرب قد اشتغلوا عن كل العلوم إلى دراسة صنف آخر وهو القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وكل ما يمت بصلة للدين الجديد.

03- العلـــــوم العقلية في العصر الأموي :

" قامت الدولة الأموية بعد انتهاء الخلافة الراشدة وتنازل " الحسن بن علي " رضي الله عنهما لـ " معاوية بن أبي سفيان " عن الخلافة للأمّة الإسلامية وقد دام حكمها إحدى وتسعين عاماً هجرياً تسعاً وثمانين عاماً ميلادياً (41 هـ/ 32هـ * 661م/ 750م)؛ تولّى الخلافة خلالها أربعة عشر خليفة أولهم " معاوية " وآخرهم " مروان بن محمد الجعدي "[1].

وقد اتّسعت الحضارة العربية في أيّام الأمويين، إذ بنو المدن والمساجد والقصور وتدفقت الأموال من جميع أنحاء الإمبراطورية إلى الشام ودمشق خاصة فكثر الترف وخصوصاً بين أمراء البيت المالك ورجال الدولة، ثمّ عمّ الرخاء في سائر البلاد.

" وهذا الترّف في الحياة الجديدة التي طرأت على البيئة الإسلامية قد بدل كثيراً من حياة العرب والمسلمين "[2]، فلم يقتصر التطور في البيئة العربية على جانب واحد من الحياة الاجتماعية، فقد

[1] – طقوش، محمد سهيل : تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، لبنان، ط7، 1431هـ، ص؛ 53.

[2] – فروخ، عمر : تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ج1، ط4، 1981م، ص؛ 54.

تطوّرت تلك الحياة في جوانب أخرى، فكانت العلوم الدينية واللغوية والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والطب من أهم المجالات التي ازدهرت في العصر الأموي، وقد انقسمت الحركات العلمية في هذا العصر إلى أربع حركات هي : الحركة الدينية (المعنية بعلوم الدين، مثل : تفسير القرآن والأحاديث والتشريع)، والتاريخية (المعنية بتوثيق التاريخ والقصص و المغازي ونحوها)، والأدبية (المعنية بالشعر والنثر وما إلى ذلك)؛ والفلسفية (المعنية بالمنطق والكيمياء والطب وما شابهها)؛ إذ " ظهر في هذا العصر كثير من أطباء النصارى في بلاد الخلفاء، وكان أكثرهم فلاسفة وأطباء معاً دراستهم الطبية لم تكن منفصلة عن دراستهم الفلسفية بما كان الشأن في فلاسفة المسلمين كـ " ابن سينا" و" الكندي". ويدخل في هذه الحركة أيضاً؛ الجدل بين فرق المسلمين والنصارى"[1].

" وهذه الحركات جميعاً كانت تساند ويعاون بعضها بعضاً؛ فأصحاب المذاهب الدينية اعتمدوا في تعاليمهم على الفلسفة وتعاليم الكتب والسنة، والمفسرين والمحدّثون والفقهاء كانوا يستعينون بالشعر والأدب على تفهم معاني في القرآن والحديث والمؤرخون والقصاص يستمدّون بعض معلوماتهم من القرآن والحديث، وهكذا وقلّ ما يوجد في ذلك العصر ما نسميه الآن تخصص فليس هناك عالم بالتفسير فقط أو الحديث فقط، لأنّ هذا الدور إنّ ما يكون بعد تنظيم البحث وهو دور لم يصلوا إليه في هذا العصر، وكذلك كانت الدروس فيها تفسير وفيها حديث وفيها فقه وفيها لغة وفيها جدال ديني"[2].

[1] – أمين، أحمد : فجر الإسلام، المرجع السابق، ص؛ 163.

[2] – أمين، أحمد : فجر الإسلام، المرجع نفسه، ص؛ 164.

والذي يظهر أنّ نفوس العرب لم تكن مهيأة بعد إلى العلم ولا عقولهم ناضجة للبحث فيه وإنّما توزعتهم عواطف الدين، وشواغل الفتح ونوازع الأدب، فاكتفوا منه بالضروري الموروث كالطب والنجوم،حتى هالهم اللحن ودهمتهم العجمة وتشعبت عليهم القضايا؛" فوضعوا النحو لضبط القرآن والتفسير لحل مشكلة والفقه لاستنباط الأحكام منه، ودونوا الحديث خوفاً من ضياعه أو افتعاله "[1].

واقتضت حنكة الخلفاء ودهائهم في أن يستعينوا لتأكيد ملكهم وتثبيت حكمهم بتجارب الماضيين وأخبارهم، " ونشطت الدولة لترجمة علوم الأوائل اليونانية وبعض الرسائل الأدبية الفارسية كما اهتمّ " معاوية " -أول خليفة أموي- بأخبار الأمم السابقة، واستقدم لذلك من اليمن " عبيد بن شرية الجرهمي"، وجعلها عبيد موضوعاً لسمره وأحاديثه معه، وجمع كثيراً من هذه الأحاديث في كتاب له سماه؛ "كتاب الملوك وأخبار الماضيين "[2].

" وقد حدّثنا " ابن النديم " في الفهرست؛ أنّ " خالد بن يزيد بن معاوية " المتوفي سنة 85هـ عني بإخراج كتب القدماء في صنعاء وكان خطيباً شاعراً فصيحاً حازما ذا رأي وهو أول من ترجمت له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء وله عدّة كتب ورسائل "[3].

ويبدو جلياً أيضاً، أنّ الخلفاء لم يشجعوا أي حركة من الحركات التاريخية أو الدينية أو الفلسفية أو العلمية عدا الحركة الأدبية والقصص الرسمي، ففتحوا أبوابهم للشعراء والخطباء، وبذلوا لهم

[1] – الزيات، أحمد حسن : تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، المرجع السابق، ص؛ 149.

[2] – شوقي، ضيف : تاريخ الأدبي" عصر الدول الإمارات الشام "، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.ت، ص؛ 63

[3] – الأثري، محمد نجد : المجمل في تاريخ العرب، مطبعة العراق، بغداد، ج1، د.ط، 1929، ص؛ 32.

الأموال، وعيّنوا القصاص في المساجد ولم يفعلوا شيئاً من ذلك للعلماء والفلاسفة ولعلّ السبب في ذلك أمران :

" **الأول** : أنّ حكم الأمويين بني على الضغط والقهر، فكانت حاجتهم إلى الشعراء والقصاص أشدّ ، لأنّهم هم الذين يشيرون بهم، ويشيّدون بذكرهم، ويقومون في ذلك مقام الصحافة لأحزابها ومن أجل هذا لم ينل الحظوة عند خلفاء بني أمية، إلاّ من كان مادحاً لهم.

الثاني: أنّ نزعة الأمويين كانت تغلب عليها النزعة العربية الجاهلية، التي لا تتلذّذ من فلسفة ولا من بحث ديني عميق، إنّما يلذّ لها الشعر الجيّد، والخطبة البليغة، والحكمة الرائعة "[1].

نستثني منهم « خالد بن يزيد بن معاوية » و« عمرو بن عبد العزيز ».

" وإذا عدونا عن هذين (خالد أو عمر)، لم نجد كبير أثر الأمويين في تشجيع الحركة الفلسفية والدينية والتاريخية كالذي نجده للعباسيين مثلاً، ومع هذا فقد نشطت هذه الحركات من نفسها، أمّا الحركة الدينية فالباعث الديني كان قوياً إذ ذاك، أمّا الحركة الفلسفية، فلأنّ الدين في آخر عهد الأمويين اضطرّ إلى استخدام الفلسفة لمجادلة اليهود والنصارى، ولمحاربة الفرق الإسلامية بعضها البعض، أمّا الحركة التاريخية فلما كان لها من صبغة دينية "[2].

في هذا العصر كان العلم، ولاسيما الدّيني يدرس في المساجد، يجلس الأستاذ في المسجد وحوله الآخذون عنه على شكل حلقة، وتكبر الحلقة وتصغر تبعاً لقدرة الأستاذ، كما قويت الحركة

[1] – أمين، أحمد، فجر الإسلام، المرجع السابق ، ص؛ 164.

[2] – أمين، أحمد : المرجع نفسه، ص؛ 165.

العلمية بسبب الفتوح، ودخول الأمم المتحضّرة في الإسلام والحاجة إلى تشريع واسع يتّفق وما أحدثت المدينة من أحداث لم تكن فكثر التدوين، "وتختلف المدن في نوع ما تمتاز به العلوم، فقد تمتاز مدينة بعلم اخرى بعلم آخر وثالثة بفن أو أدب، وكانت أهم المراكز العقلية في ذلك العصر مكة والمدينة في الحجاز، والبصرة والكوفة في العراق ودمشق في الشام و القسطاط في مصر "[1].

وإذا أردناَ الإنصاف فيمكن القول أنّ أعظم درجات الرقي التي بلغتها الحركة الفكرية في عهد الأمويين قد كانت بلا ريب في ميدان صناعة الشعر، إذ أنّ " الحياة الأدبية في الشام لهذا العصر تعدّ من أزهى الحركات بما قدّم لها من عناية على يد الخلفاء والقواد، وبما أشاعه الخلفاء في مجالسهم وبما أعطوه للشعراء وبما أظهروه من ذوق أدبي تمتّعوا به وقادوا به زمام هذه الحركة، فأصبحت من الأصالة والقوة بمكان "[2].

وإذا استطعنا أن نوازن بين الحياة الأدبية في عهدها الإسلامي وهذا العصر وجدنا أنّ هناك فرقاً كبيراً أو تبايناً شاسعاً بين الحياتين.

" فالحياة في العصر الإسلامي شغلت عن الشعر بالقرآن والحديث، أمّا في الحياة الأموية فقد سدّ فعلاً هذا الفراغ بالشعر قبل أن يتبدّد من النفوس وتطويه عوامل الزمن ولم يجد الشعر، إلاّ هذا المنطلق السياسي الذي استطاع أن يعبّر عنه، ولم يجد إلاّ هذه البيئة التي خلقت كثير، من التنافس بين أرجاء الأمّة كلّها بين مؤيد لها ومعارض وكان الارتداد القوي إلى العصر الجاهلي، بعد أن هبّت

[1] – أمين، أحمد : فجر الإسلام،المرجع السابق، ص؛ 165

[2] – عبد الحميد علي، عبد الرحمان : الأدب العربي " العصر الإسلامي والأموي "، دار الكتاب الحديث، د.ط، 1426هـ/2005م، ص؛ 57.

نسماته وظهرت معالمه في هذا الصراع المرير والعصبية التي وجدت والأحزاب التي ظهرت، كل هذه الأمور كان لها أثرها القوي في الحياة الأدبية هناك "[1].

ولم يقتصر الشعر على الاتجاه السابق فقط، بل استطاع أن يجوس خلال المجتمع الجديد يتحسّس ما عنده من آلام، ويعالج ما فيه من علل، ويصوّر ما كان هناك من صراع؛ ويسجّل ما ظهر من آفاق جديدة وأمور مستحدثة في ثوب براق له معالمه الواسعة.

[1] – عبد الحميد علي، عبد الرحمان : الأدب العربي " العصر الإسلامي والأموي"، المرجع السابق،57

المبحث الثالث: النزعة العقلية في العصر العبــاسي.

1* – دواعي تطور العقـــل العربي وتأثير الثقافات فيه:

يعدّ مولد الدولة العباسية أحد أهم الأحداث في التاريخ الإسلامي على مرّ العصور، لأنّها أطول دولة احتلت كرسي الخلافة لمدّة تزيد عن نصف الألفية، منذ أن اعتلى أبو العباس الحكم في 132 إثر سقوط الدولة الأموية التي تمّ انتزاع الخلافة قصراً من يدها بمعونة الفرس، وأقاموا عرشها بالعراق وتبوّأه منهم سبعة وثلاثون خليفة في خمسة قرون وبضع قرن؛ حتّى تلّ ذلك العرش " هولاكو" حين استولى " التتار " بقيادته على بغداد، " والعباسيون ينتمون إلى العباس عم النبي وهم العلويون من بيت " هاشم " من قريش "[1].

وتنقسم الخلافة العباسية إلى طورين: الطور الأول من 132هـ إلى 334هـ؛ والطور الثاني من 334هـ إلى 656هـ .

وتعدّ هذه الفترة العصر الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغوه من قبل ولا بعد، " أثمرت فيه الفنون الإسلامية وزهت الآداب العربية ونقلت العلوم الأجنبية، ونضج العقل العربي فوجد سبيلاً إلى البحث ومجالاً للتفكير"[2]؛ كما ازدهرت الحياة العقلية ازدهاراً كبيراً وتلاقت في الحواضر الإسلامية شتّى الثقافات التي تمثل حضارات الأمم العريقة وآثارهم في العلم والثقافة..؛ " وقد تميّزوا بغلبة التجديد فيه لأنّ هذا التجديد كان يستند في بعض نواحيه إلى الأعاجم

[1] – معوّض، سليمان : مدخل إلى الأدب العربي، المرجع السابق، ص؛ 83.

[2] – الزيات، أحمد حسن : تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص؛ 153.

أولئك الذين ولوا مراكز السلطان واستحوذوا على جانب كبير من الحياة العامّة، ولأنّه كان يستند أيضاً إلى الجديد في الحياة العقلية والاجتماعية والحضارية، وهي يومئذٍ ألوان برّاقة تذهب بالأبصار لجدّتها وتأسر الألباب والمشاعر بطرافتها "[1].

" كانت الدولة مزيجاً من شعوب كثيرة وكانت عقلية هذا الشعب الجديد، يتجلّى عليها أثر الثقافات والوراثات"[2]؛ وقد اصطبغت الدولة العباسية أكثر بالصبغة الفارسية،كون أنّ الفرس أوجدوها وأيّدوها، فاتّخذت قصبتها بغداد في العراق لقربها من موطن الدعوة "خراسان"، ونقلهم نظام الفرس الكسروي في الدواوين والسياسة وأساليب الحرب، واقتباس العادات الفارسية في كل ناحية حتى العيش والطعام، واحتفالهم بالأعياد الفارسية كعيد " المهرجان"، و" النيروز"؛ وسواهما؛ فانتشرت ثقافة الفرس وعلومهم وآدابهم.

" إضافة إلى إطلاق الخلفاء أيدي الموالي في سياسة الدولة، فاستقلّوا بشؤونها، واستبدّوا بأمورها، وكانوا للعرب من الحقارة والمهانة صاعاً بصاع، فضعفت العصبية العربية وعلا صوت الشعوبية، ونتج من ذلك دخول العناصر الفارسية والتركية السريانية والرومية والبربرية في تكوين الدولة وتمازجهم بالتزاوج والتناسل واختلاط المدينة الآرية بالمدينة السامية، ولكل منهما لغة وأخلاق وعادات أثّرت في الأخرى؛ ناهيك بما امتازت به هذه الدولة من إطلاق الحرية في الدين، وتعدّد الطرق وشيوع

[1] – الجواري، أحمد عبد الستار، الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط2، 1412هـ/ 1991م، ص؛ 351.

[2] – خفاجي، محمد عبد المنعم : الآداب العربية في العصر العباسي الأول : دار الجيل، ط1 : 1412هـ / 1992م، ص؛ 15.

المقالات المختلفة في الإلحاد والسياسة وتكاثر الجواري والغلمان والاسترسال في الخلاعة والمجون والتأنق في الطعام واللباس والتنافس في البناء والرياش"[1].

وكان هناك " توليد بين الأجسام وتوليد عقلي فعقول الناس من الأمم المختلفة؛ كان ينتابها اللقاح،فالفارسي يحمل عقلاً فارسياً ثمّ يعتنق الإسلام، ويتعلّم اللغة العربية فينشأ مزيج من العقلين تتولّد منه أفكاراً جديدة ومعان جديدة، واليوناني النصراني والرومي النصراني، والعراقي اليهودي يخالط العربي المسلم، ويتبادلان الرأي والقصص والفكرة، فينشأ من ذلك فكر جديد وهكذا ومن ثمّ كان الأدب العربي بمعناه الواسع الذي يشمل كل ثقافة ليس في الحقيقة أدباً عربياً، وإنّما هو مزيج طبع بالطابع العربي الإسلامي فسمّي أدباً عربياً "[2]؛ ولعلّ من أبرز الأحداث السياسية والاجتماعية التي كانت سبباً في تطور العقل العربي:

1- " الترجمة التي نشطت حركتها عن اليونانية والفارسية والفهلوية وغيرها من اللغات إلى العربية، حتى ازدهرت هذه الحركة في العصر العباسي بفضل تشجيع الخلفاء العباسيين لها فبدأ " أبو جعفر المنصور " عهده بترجمة الكتب، فنقل له " حسن بن اسحاق " بعض كتب " أبقراط " و" غالينوس" في الطب، ونقل"ابن المقفّع " بعض الكتب ولقيت حركة

[1] – الزيات، أحمد حسن : تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، المرجع السابق، ص؛ 153.

[2] – أمين، أحمد : ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي، 26- 08- 2012م، د.ط، ص؛ 26.

الترجمة العناية التامّة في عهد"هارون "وعهد ابنه" المأمون"، فأرسلت البعثات إلى القسطنطينية لإحضار المصنفات الفريدة في الفلسفة والموسيقى والطب وغيرها "[1].

2- وضع أسس العلوم والفنون الناتج عن تطور الحياة الفكرية من طرف علماء العصر العباسي العرب منهم وغيرهم، إذ كان لغير العرب أثر واضح في تلك النهضة العلمية فازدهرت بذلك علوم التفسير والفقه والنحو والمنطق واللغة والأدب.

3- فتح الدولة العباسية منذ أيّامها الأولى؛ الأبواب لجميع الأقوام والأجناس بالاشتراك في عملية تطوير الفكر وتنشيطه، متّخذة اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربي أساس في التعبير والتدوين ونقل المعرفة "[2].

4- اهتمام العرب بالعلوم الكونية من فلك وطب وكيمياء وطبيعة وفلسفة ومنطق وتاريخ وغيرها وهذا رغم ما حظيت به علوم اللغة والدين من نصيب أوفى لدى علماء العصر " وبذلك أصبح العقل العربي في العصر العباسي عقلاً متفلسفاً، كما أصبح عقلاً علمياً لا من حيث فهمه وفقهه بعلوم الأوائل بل أيضاً من حيث إسهامه فيها وإضافاته الجديدة حتى ليضيف علوماً لأول مرّة في تاريخ الحضارة الإنسانية على نحو ما أضاف " الخورازمي" علم الجبر، وكان هذا العقل قد أظهر نضجه العلمي وإحكامه لوضع العلوم

[1] – ينظر: أيوب، إبراهيم : التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العلمية للكتاب، ش.م.ل، مكتبة المدرسة، دار الكتاب، ط1ن 1989م، ص؛ 271.

[2] – رشيد ، ناظم : الأدب العربي في العصر العباسي ، دار الكتب ، الموصل، د.ط، 1410هـ/ 1989م، ص؛ 15.

منذ القرن الثاني، مما نراه متحليّاً في العلوم اللغوية والدينية ومباحث التاريخ وعلم الكلام"[1].

كان لرقي الحياة العقلية في العصر العباسي ما هيّأت له الكتب الكثيرة التي ترجمت عن الهنود والفرس واليونان؛ " وأمّا بالنسبة لأثر الثقافة الهندية، فقد اتّسعت الفتوحات الإسلامية، وانسابت الجيوش العربية المظفرة في كل مكان، وفتح " محمد بن القاسم الثقفي" السند في عهد " وليد بن عبد الملك "، واختلط بعض الهنود بالعرب ودخل العرب بعض جهات الهند، فبدأ يظهر أثر الاختلاط إذ تسرّبت الثقافة الهندية إلى العالم العربي وترجمت بعض مصادرها وأصولها إلى اللغة العربية "[2].

وكانت الهند تشتهر بالحساب وعلم النجوم والطبّ والصناعات والتماثيل والنحت والحكمة التي كانت معدنهم وبالإلهيات والرياضيات، يقول " القفطي" في أخبار الحكماء:" والهند هم الأمّة الأولى، كثيرة العدد فخمة الممالك، قد اعترف لها بالحكمة وأقرّ بالتبريز في فنون المعرفة كل الملك السالفة، وكان الصين يسمُّون مُلك الهند، مُلك الحكمة لفرط عنايتهم بالعلوم.

وللهنود الطب والنحو والصرف، ولهم ولع بالشعر ونظمه، ونقلت عنهم آراء في البلاغة والأدب " وعرّف العرب من عقائدهم ومذاهبهم وعلومهم الكثير، وأخذوا عنهم لعبة الشطرنج، غير أنّ أثر الثقافة الهندية في لغة العرب كان ضئيلاً، يتمثّل في الألفاظ التي عرّبت، مثل: الزنجبيل، وكافور والأبنوس والببغاء، والخيزران وسواها من أسماء النبات والحيوان، أمّا أثرها في أدب العرب، فيبدو فيما

[1] – ينظر : شوقي ، ضيف : تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، درا المعارف، القاهرة، ط8، د.ت، ص؛ 117.

[2] – ينظر : أبو الليل، أمين : العصر العباسي الأول، الوراق للنشر والتوزيع، د.ط، 2009م، ص؛ 55.

اقتبسته الآداب العربية من القصص والحكم، وقد أخذوا من الثقافة اليونانية شيئاً كثيراً، وكان ذلك عن طريق المدن التي كثر فيها عنصر الروم، أمثال " جندي سابور" القريبة من البصرة وحرّان وأنطاكية والإسكندرية "[1]؛ فبدأت صلة العرب بثقافة اليونان وعلومهم وفلسفتهم وحكمتهم ونقل إلى العربية الكثير من نتاجهم من ألفاظ وأسماء طير وحيوان ونبات.

وقد أثر المنطق اليوناني في الفكر العربي تأثيراً كبيراً أصبح له سلطان على العقول، فاصطبغت به طريقة الجدل والبحث، والتعبير، والتذليل، كما كان للفلسفة اليونانية والطب والرياضة أثر كبير في عقول المسلمين ويتجلّى الأثر البارز لثقافتهم في أدب العرب بنقل بعض الحكايات والأسمار القصيرة وترجمة بعض الحكم والأمثال الخلقية والمعاني الفلسفية؛ فتأثر بها الأدب العربي واكتسب منها سعة في الخيال وتهذيباً في الفكر، غير أنّه لم يستعن من الأدب اليوناني نفسه، وذلك باعتبار أنّ الأدب ظلّ المجتمع، ولكل بيئة تقاليدها وأذواقها، ولذلك نجد كتاباً في الأدب نقل إلى العربية من اليونانية على وفرة ما كان لليونانيين من ذلك.

وترجع صلات العرب بالفرس إلى ما قبل الإسلام، فقد كان الحوار مدعاة الإختلاط، وسبباً لتوثيق الروابط السياسية والاقتصادية، وكان نتيجة هذا الاختلاط شيوع كثير من الألفاظ الفارسية في لغة العرب وآدابهم كما يتّضح ذلك في شعر الأعشى، و "عدي بن زيد " و" أمية بن أبي الصلت"

" وبعد فتح العرب لفارس، كان حتماً من الحتم أن تنتشر العربية في أرجاء البلاد، وإذا قطعنا النظر إلى ضرورة فرض الغالب لغته على المغلوب كالمعلوم المعهود، فقد وجد الفرس أمس الحاجة إلى

[1] – رشيد ناظم : الأدب العربي في العصر العباسي، المرجع السابق، ص؛ 15.

معرفة العربية، لأنّها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وأحكام دينهم الجديد الذي دخلوا فيه أفواجاً وأفضى ذلك بلغتهم الفارسية إلى أن تنكمش في صدور قلّة من أصل البلاد، تعتبر محدودة ضئيلة إذا قيست بالكثرة الكثيرة "[1].

" وكان نتاج العرب الذين يجيدون الفارسية والفرس الذين يجيدون العربية، يجمع خير ما في بلاغات العرب والفرس جميعاً من معان وخيالات وأغراض وطرق الأداء، فتعدّدت الأغراض واتّسع مجال التفكير والخيال، وظهر التأنّق في التعبير مع المحافظة على فصاحة العربية والأخذ بأساليبها "[2].

وكان للفرس حكم وأمثال و تصويرات بديعة و أخيلة دقيقة وصنع ذلك كلّه تحت أعين العرب؛ فالمعاني الفارسية ترشد العربي إلى أمثل طرق التصوير والتعبير؛ والشعراء ينظمون ما يتسرّب إليهم من الصور الفارسية إضافة إلى ما جَدّ من الفنون الأدبية، بتأثير الامتزاج وانتشار الثقافة الفارسية كالأدب القصصي، وأدب الزهد وأدب المقامة، وإن كنّا لا ننكر ما سرى إلى العربية من ضعف الملكات، والافتنان بالبديع، وقد مضى الشعراء منذ ظهور كتابي الأدب الكبير والأدب الصغير لـ "ابن المقفع "يتأثّرون بما نقله فيهما من تجارب الفرس ووصاياهم في الصداقة والمشورة وآداب السلوك والسياسة ومن يرجع إلى بشار يفرده يقود للمشورة قطعة طويلة في إحدى مدائحه:

إِذَا بَلَغَ الرَأْيُ الْمَشُورَةَ، فَاسْتَعِنْ *** بِرَأْيِ نَصِيْحٍ أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمٍ.

وَلَا تَجْعَلْ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَة *** فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ.

[1] – مجيب، حسن : صلاة بين العرب والفرس والترك، – دراسة تاريخية أدبية – ، دار الثقافة للنشر، د.ط، د.ت، ص؛ 79.

[2] – أبو الليل، أمين : العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص؛ 53.

" وإلى جانب كل ذلك، هيّأت لرقي الحياة العقلية أيضاً المحاورات والمناظرات بين أصحاب الملل والنحل والأهواء وهي مناظرات دفعت الشعراء كما دفعت غيرهم إلى التفكير المتصل الذي ما ينى صاحبه يحاور ويناظر متناولاً كل شيء، حتى يصقل عقله، وحتى يبلغ أقصى ما يريد من العلم والمعرفة وما لم يعرفه ولم يعلمه سأل عنه العلماء ليصوره له، وليزيلوا الشبهة فيه وعن نفسه"[1]، وفي ذلك يقول " بشار " :

شِفَاءُ العَمَى طُولَ السُؤَالِ وَإِنَّمَا *** دَوَاُم الْقَمَى طُولَ السُكُونْ.

فَكُنْ سَائِلاً عَمَّا عَنَاكَ فَإِنَّمَا *** دَعَيْتَ أَخَا عَقْلٍ لِتَبْحَثَ بِالْعَقْلْ.

ولم يكن الشاعر العباسي يلتمس المعرفة عند العلماء ولقائهم وسعيهم وسعيه في السؤال وإلحاحه في السؤال فحسب، بل كان يلتمس أيضاً في الكتب المترجمة من كل صنف، والنزوع للتزوّد بجميع ألوان المعرفة وما يجد في ذلك من لذّة عقلية لا تعدّ لها لذّة ؛ فمضوا يتمثّلون كثيراً من الألوان ويجعلونها غذاء شعرياً بديعاً، سواء منها؛ الهندي والفارسي واليوناني، وما لم يجدوه تأثروا به من قريب أو من بعيد، " وظهرت الزندقة وكثر شعراء المجون، وما يرتبط به من وصف الخمر، وذلك لأنّ كثرة الجواري والقيان أوجدت دوراً وأماكن كثيرة للهو والغناء والشرب، فكان الشعراء يتعقّبون متعهم ولذّاتهم في تلك الدور.....فتأثروا تأثراً بالغاً بتلك المجالس، ومن الشعراء من دعته الحاجة إلى نظم الشعر لتغنيه الجواري والقيان، حتى اختص كل شاعر كبير بعدد من الجواري يغنيّن شعره ويذعنه بين

[1] – شوقي ، ضيف : تاريخ الأدب العربي، العصر الأول، المرجع السابق، ص؛ 147.

الناس، واشتهر شعراء آخرون عديدون بحبّهم لجواري مغنيات وأديبات فنظّموا شعراً رائعاً فيهن من بينهم " أبو نواس " الذي اشتهر بـ (جنان)"[1].

– العلـــــوم العقلية في العصر العباسي:

" وفي هذا العصر كان هناك نوعان من الدراسة، نوع ديني يرتبط بالقرآن والحديث ونوع دنيوي يرتبط بدراسة الطب وما يتعلّق به، ولكل نوع منهج خاص في البحث وتأثر كل منهما في الآخر، لقد اعتمد منهج البحث في العلوم النقلية على الرواية واضحة السند؛ في حين اعتمد منهج العلوم العقلية،كالطب والرياضيات على معقولية الحقائق واختيارها عن طريق المنطق أو التجربة العلمية "[2]، وتمثّلت العلوم العقلية في ما يلي:

1- **الفلسفة والفلاسفة** :" ازدهرت الفلسفة في العصر العباسي، واشتهر ممّن تأثروا بالفلسفة اليونانية " يعقوب بن اسحق الكندي"، وقد تأثر بفلسفة المعتزلة وآرائهم، كما تأثر بالفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة أرسطو، و اشتغل بالرياضيات وما وراء الطبيعة وكتب مؤلفات في الفلسفة والمنطق والحساب والنجوم والهندسة والفلك والطب والجدل والسياسة، واشتهر عمالقة آخرون إلى جانب الكندي أمثال:"أبو نصر الفارابي" (ت339 هـ)؛ والرئيس " ابن سينا " (ت 428 هـ)؛ و " الغزالي " (ت505هـ)؛ هذا

[1] – الزبيدي، مهدي صلاح : دراسات في الشعر العباسي، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 1431هـ/2010م، ص؛ 20.

[2] – حربي، خالد : بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية، " رؤية جديدة في الأسس المعرفية "، دار الوفاء، ط1، 2004م، ص؛ 403.

على الرغم مما تعرّض له الفلاسفة في بعض حلقات العصر العباسي نتيجة لاتهامهم بالزندقة "[1].

واشتهر " أيمن " في العصر العباسي بالفلسفة " إخوان الصفا "، واستطاعوا إتمام ما بدأه المعتزلة وخاصة ما يتعلّق بالتوفيق بين العلوم والدين وتحقيق الانسجام بين الشريعة والفلسفة، لذا لجأوا إلى تأويل القرآن تأويلاً مجازياً، وأنتجوا رسائل تعتبر دائرة معارف ضخمة.

2- **في الطب والأطباء** :" تقدمت العلوم الطبية تقدّماً كبيراً، الأمر الذي جعل العباسيون يعتمدون على الأطباء العراقيين والهنود بعدما توصلوا إلى تشخيص بعض الأمراض بفضل العلوم اليونانية التي أفادوا واستفادوا منها، وبخاصة حينما عمل الخلفاء العباسيون على تشجيع الأطباء وتأسيس المدارس الطبية والمستشفيات، فقد أمر " أبو جعفر المنصور" بناء مستشفى للعميان ومأوى للمجاذيب وملجأ للعجزة في بغداد، كما شيّدها " هارون الرشيد " مستشفى كبير لتعلّم الطب، زودّه بمكتبة حَوَت المؤلفات اليونانية والهندية والعربية وكذلك الطبيّة "[2]؛ فتقدّم الطب والأطباء وراء تشجيع العباسيين الذين لم يهملوا بناء " بمارستانات؛ أو المستشفيات وأولوا عناية فائقة في التشجيع على كتابة المؤلفات الطبيّة التي تشرح أسباب الداء وتصف الدواء، فاشتهر " أبو بكر محمد الرازي" (311هـ) في حقل المؤلفات الطبيّة بتأليف كتابه (المنصوري) وكتاب (الحاوي)، الذي

[1] – أيوب إبراهيم : التاريخ العباسي السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص؛ 271.

[2] – أيوب، إبراهيم : المرجع نفسه، ص؛ 272.

تحدّث فيه عن الأمراض والصحة والجراحات والأدوية؛ فنجح نجاحاً كبيراً في تشخيص الحميات ذات البثور كالجدري والحصبة، ووصف الدواء لهما، إضافة إلى كتاب " القانون في الطب " " ابن سينا " الذي كان من الموسوعات الطبية والذي ظلّ يدرس في الجامعات الأوروبية حتى القرن الثامن عشر بعدما ترجم إلى اللغة اللاتينية.

3- **في علم الفلك والفلكيون** : سيطرت أقوال المنجمين وعلم النجامة على تفكير الحكام فلم يفعلوا أو يقوموا بعمل هام كشنّ الحرب قبل أخذ رأي الفلكيين شأن العرب في ذلك كشأنهم أيّام الجاهلية.

هذا التفكير في العصور الوسطى؛ أنعش الدراسات الخاصة بالفلك والنجوم في العصر العباسي واشتهر في علم الفلك في عهد " المنصور محمد بن إبراهيم الغزاري "، وفي عهد المأمون " محمد بن موسى الخوارزمي (ت 85 م)، كما أنشأ علماء الفلك مراصد لمشاهدة النجوم وضبط أبعادها ومراقبة سيرها.

"ويرتبط بالعلوم الفلكية، العلوم الرياضية التي اشتهر فيها " ثابت بن قرّه الحراني (288هـ و" سنان بن ثابت" (331هـ)؛ اللذين تركا كثيراً من الدراسات والأبحاث في المسائل الهندسية والأعداد وغيرها، هذا إضافة إلى أعمال " الخوارزمي " و" البيرلي " وغيرهم ممن كتبوا وابتكروا في الحساب والأعداد والهندسة وحساب المثلثات والجبر"[1].

[1]- أيوب إبراهيم : التاريخ العباسي السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص؛ 273.

4- **في التأريخ والمؤرخون** : كتب التاريخ في العصر العباسي، حسب الموضوعات، كما كتب حسب الطبقات بصرف النظر عن السنن، " إذا ارتبط التاريخ حسب الطبقات بعلم الحديث والعلوم الدينية الأخرى، فجاءت " طبقات ابن سعد " ترجمات لشخصيات محدثة هامّة و" طبقات الشافعية " لـ " شعراني" تراجم لشخصيات فقهية، و"طبقات الأطباء " لـ :" ابن أبي أصبيعة " و" طبقات الشعراء " لـ :" ابن المعتّز " وغيرها"[1].

ومن بين الذين اشتهروا في علم الأنساب " محمد بن السائب الكلبي " (ت 146هـ) وابنه " هشام بن محمد بن السائب الكلبي " (ت 204هـ) و" مصعب الزبيري " (ت 223 هـ) وغيره..

5- **في الجغرافيا** : أدّى اتّساع رقعة الدولة العباسية وانتشار البريد في سائر أقاليم الدولة وازدهار التجارة في العصر العباسي الأول إلى الاهتمام بالطرق وبأخبار البلاد والعباد ولاسيّما النائية، فكثرت الأسفار وازداد عدد الرحالة ومن الجغرافيين اللذين ظهروا في العصر العباسي " ابن خرداذبة " (ت 300هـ) صاحب كتاب المسالك والممالك الذي يعتبر أقدم الكتب الجغرافية التي ظهرت باللغة العربية والخوارزمي الذي يعدّ أوّل صانعي الخرائط من المسلمين.

" وتطورت كتابة الجغرافية في القرن الرابع هجري، وأرست قواعد مجرسة في الجغرافية العربية التي من كتّابها " ابن حوقل – المقدسي – الإدريسي " و" البيروني" الذي يعود إليه

[1] – أيوب، إبراهيم : التاريخ العباسي السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص؛ 275.

الفضل في إرساء قواعد الجغرافية القائم على المشاهدة والرحلة والتجربة الشخصية كما كان عند العرب الأوائل "[1].

وفي الختام نستنتج أنّ العرب في العصر العباسي نزعوا للتزود بجميع ألوان المعرفة، فكانوا يجدون في ذلك لذّة عقلية ويستقون علمهم من أربع ثقافات كان لها الأثر الأكبر في عقول الناس؛ ونعني بها الثقافة الفارسية والثقافة اليونانية والثقافة الهندية والثقافة العربية، كما كان هناك ثقافات دينية أهمّها: اليهودية والنصرانية والإسلام فازدهرت الحياة العقلية وأصبح العربي ذو عقل متفلسف علمي فقيه بعلوم الأوائل مبدع حكيم.

[1] – أيوب، إبراهيم : التاريخ العباسي السياسي والحضاري،ة المرجع السابق، ص؛ 275.

الفصل الثاني

المبحث الأول: مفهوم الحكمة وتجلياتها في الشعر.

الحكمة ومفهومها:

تعدّ الحكمة من الموضوعات المهمة في تاريخ الأدب العربي، فقد عالجها العرب منذ أقدم عصورهم من خلال التفكرات والتأملات واستنتاج بعض الأمور التي تساعد الآخرين في عيشة مثلى وإذا تتبعنا كلمة الحكمة في لفظها نجد أنّ لها معان كثيرة، حيث جاء في " أساس البلاغة في مادة حكم أحكم الشيء واستحكم وحكم الفرس وأحكمه وضع عليه الحكمة ورجل محكم مجرب منسوب إلى الحكمة وفي جمهرة اللغة كل كلمة وعظتك وزجرتك ودعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة "[1].

أمّا في معجم لسان العرب، فالحكم العلم والفقه والقضاء بالعدل وقال صاحب تاج العروس الحكمة إصابة الحق بالعلم والعدل، وقد وردت بمعنى الحلم ومنه فالحكمة (بكسر الحاء)، يظهر أنّ معناها المعرفة وإصابة الحق بأفضل العلوم، أمّا الحكم (بالضم) فهي تحمل معنى الفصل في الأمر وقضائه.

فالواقع أنّ كلمة الحكمة هي مفهوم معقد وليس من السهولة بمكان الوصول إليه، وقد تطور المعنى الدلالي لها وتفرّع إلى جداول كثيرة وظلّ مرتبطاً بالنبع العلم والمعرفة، وقد جاء في تعريفاتها أنّها

[1] – توفيق، عمر إبراهيم: الحكم والمواعظ لابن ليون النجيبي، دار غيداء، الأردن، ط1، 2011م، ص؛ 10.

تعني:" العلم والحلم والعدل في القضاء ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم فيفصل بها في الخصومات وتدار بها الأزمات"[1].

وهي الكلام الذي وافق الحق وقيل؛ "هي الكلام المعقول والمصون عن الحشو وقيل معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر"[2]، فهي تنتج من بعد النظر في الحياة والدين وتنبع من عقل واعٍ ونفس حساس وفكر خبير بأسرار الحياة وواقعها،" تجري على ألسنة الفلاسفة ممن يعنون بالدقة في الأسلوب وتوليد معاني الكلام بطريقة فنية مدهشة وقد قيل أنها إصابة الحق بالعلم والعقل تنهل من معين الفلسفة "[3].

وهي الكلام الموافق للحق وصواب الأمر وسداده، " وهي أيضاً الفلسفة أي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ولها عدّة معان منها أنّها الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه "[4]؛ فالحكمة تلخيص وإيجاز للفكر العميق باللفظ الدقيق في دلالته على المعنى أو تضمين الأبيات القليلة معان جليلة سماها العرب جوامع الكلم، ومنه يمكن القول أنّ العرب يقصدون بها معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ووضع الأمور في مكانها المناسب والرأي الصائب وكل عمل أو قول ينمّان عن عقلية صاحبها وحسن تصرّفه، " فهي تعدّ صوت العقل لأنّها تنبع من الخبرة والتجربة، وهذا يقضي التأمل

[1] – ناصر الدين، يعقوب عادل: مفهوم الحكمة وأبعادها شرعاً ووضعاً، جامعة، الشرق الأوسط، عمان، 2013م، ص؛ 07.

[2] – مجاهد، مسعود أحمد: الحكمة في شعر طرقة بن العبد، مجلة القسم العربي، العدد 25، 2018م، باكستان، ص؛ 71.

[3] – الحداد، فيصل مفتاح: أنواع الأمثال والحكم ونماذجها المختارة، دار الكتاب الوطنية، ليبيا، ط1، 2008م، ص؛ 181.

[4] – الحسني، محمد فؤاد القاسمي: موقظ الهمم في شرح الحكم، درا النعمان، للطباعة والنشر، الجزائري، د.ط، 2014م، ص 10.

والتفكير والموازنة بين الأمور واستخلاص العبرة منها "[1]؛ وتكون موضوعاتها في الغالب تعبر عن قضية من قضايا الحياة " تنطوي على فكرة صائبة في ناحية من نواحي الحياة موجزة موافقة للحق والعدل وتتصف بالوضوح في الغاية "[2]؛ فهي توجه الناس إلى السلوك الحسن بتعابيرها الموجزة وتراكيبها القوية " تهدف إلى النصح والإرشاد والموعظة، وتأتي تعبيراً عن تجربة ذاتية وعن طول تأمل وتبصر بأمور الحياة، فإذا تأملنا حكمة جاهلية نجدها تنطبق على كل العصور "[3].

"وقد اشتهر من حكماء العرب لقمان بن عاد ولقيم بن لقمان، ومجاشع بن درام، وقس بن ساعدة، وأكثم بن صيفي، وذو الأصبع العدواني"[4].

ومنه نستنتج أنّ الحكمة قول موجز صائب لفكر دقيق التعبير يحمل توجيها إلى جانب من جوانب السلوك يتحرّى فيه قائله غالبا الخير والسداد، وهي لم تكن نتيجة تفكير فلسفي بعيد، وإنّما هي نظرات وخبرات صادرة عن طبيعة حياتهم ونظرتهم إلى الحياة والموت، وهي تصوي "صادق أمين " لفطرتهم السليمة، ويشترط فيها أن تكون عامة وشاملة ويجب أن تنطبق على كل زمان ومكان لكي يكتب لها الخلود.

" ومن المتعارف عليه والمألوف أنّ الحكمة هي صفة نادرة ومن الصعب تطبيقها أو القيام بها بما أنّها صفة لا تنطبق على كل الناس واللذين تنطبق عليهم أشخاص مميزون ويتمتعون بصفات

[1] – القسطاوي، رمضان خميس: الأدب العربي في مختلف العصور، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، د.ط، 2007م، ص؛ 83.
[2] – بوفلاقة، سعيد: دراسات في الأدب الجاهلي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، د.ط، 2006م، ص؛ 153.
[3] – محمد، سراج الدين: الحكمة في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، لبنان، د.ط، د.ت، ص؛ 05.
[4] – عطية، محمد هاشم: الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، د.ط، 1997م، ص؛ 80.

ومؤهلات كالثقافة والخبرة وسعة الإطلاع "[1]؛ فهي ثمرة استنتاجية عقلية تتداخل مصادرها وتتعدّد فقد تكون مستقاة من تجارب البشر أو مصادر أخرى كفلسفة القدماء، وكذا نجدها في القرآن الكريم وهي لا تخص النثر دون الشعر وإنّما ترد بهما معاً.

❖الحكمة في القرآن الكـــــريم:

كان من الطبيعي أن ترتبط الحكمة بالدين الجديد وأن تتطور؛ فقد فتح لها مجالاً واسعاً لنموها والدعوة إلى مكارم الأخلاق التي كانت متصلة في نفوس العرب قبل الإسلام،" وقد اكتسبت النموذجية باتصالها بالإسلام لأنّه منحها الامتداد والعمق لأنها موصولة بالكمال الإلهي المطلق "[2]، ولهذا كان لها الدور الفعال في المجتمع، وأصبحت معبرة عن المجتمع لأنّها كانت تدعوا إلى تنظيم العلاقات وتثبيتها، وقد جاء ذكر الحكمة مرّات كثيرة في القرآن الكريم.

وفي عدّة آيات وسور وعلى عدّة معان حسب المواضيع التي تناولها القرآن الكريم، " وقد وردت تسع مرات بينما نجد تسمية الحق بالحكيم في أكثر من تسعين موضعاً وهي خير ما يوتيه الله الرسل والأنبياء والصالحين من عباده، يقول الله تعالى ﴿يُؤْتِ الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ سورة البقرة؛ الآية: (٢٦٩)

[1] – نزار، يوسف: الحكمة بين الإله والسلطان، وزارة الإعلام السورية، د.ط، 2008م، ص؛ 05.

[2] – أبو مصطفى، يونس إبراهيم : فلسفية الحكمة والفخر في شعر مسكين الدارمي، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 11، العدد 01، 2017م، ص؛ 65.

وهي في الإسلام خير بحيث يشمل المعارف الدينية والخلقية والممارسات السلوكية الموصلة لشكر الله على أفضاله ونعمه " [1] ﴿وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ أَشْكُرِ اللهَ﴾ سورة لقمان؛ الآية:(١٢)

ومنه نستنتج أنّ الحكمة ذات أهمية كبيرة في حياة الإنسان، فقد جعلها الله من أسماءه وكذا جعلها من الصفات التي يتحلّى بها المؤمنين وجعلها صفة لأنبيائه، وامتدحهم بها ولأهميتها كذلك امتدح من تعلمها وأخذ بها ومعناها في القرآن هو معناها في اللغة والإصلاح لتدل على العلم والمعرفة والعدل والحق.

❖مفهوم الحكمة في السنة النبوية الشريفة :

إنّ المتتبع للسنة النبوية يجدها مليئة بالحكمة القولية والفعلية، حيث كانت أفعال الرسول كلها متّسمة بالحكمة " فالسنة هي المفسّرة للقرآن وهي المصدر الثاني للتشريع، وقد وردت بعض الأحاديث الصحيحة وكثير من الأحاديث الضعيفة، فقد جاءت في الصحيحين البخاري ومسلم في مواضع عدّة منها قول النبي صلّى الله عليه وسلّم:(لا حسد إلاّ في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلّط على هلكه في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها).

وعن ابن عباس قال: ضمني النبي إلى صدره، وقال: (اللهم علمه الحكمة) "[2]؛ وقد جاءت على معان عدّة منها علوم القرآن وقراءته وتأويله وكذا العلم بشرع الله والعمل به ومنه نجد أنّ ثمة

[1] – محجوب، عباس: الحكمة والحوار (علاقة تبادلية)، عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي، د.ط، 2006م، ص؛ 10.

[2] – ينظر: العمر، ناصر بن سليمان: الحكمة، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1412م، ص؛ 20.

توافق من المنظور الشرعي للحكمة بين الكتاب والسنة، وهذا يؤكد بأنّ الحكمة هبة من الله وكذا هي مكتسبة في الوقت نفسه، فهي كل عمل أو قول ينّمان عن عقلية صاحبهما وحسن تصرفه.

❖الحكمة في الفكر الإنســـاني:

من المعلوم أنّ الحكمة هي خلاصة لنظر معمق إلى الكون والمجتمع لإرشاد الناس وتوجيههم في الحياة، " وتعدّ بلاد الشرق منذ أقدم العصور منبتاً للحكمة والعرب باعتبارهم من شعوب بلاد الشرق، شاعت عندها الحكمة من العصر الجاهلي، غير أنّ ما وصل عنهم لم يتجاوز حدّ البساطة والنظرة الضيّقة إلى المحيط الاجتماعي ومع مجيء الإسلام أخذ نطاق عقلهم يتوسّع مما انعكس إيجاباً على الفكر الحكمي، لاسيما بعد أن درسوا فلسفة اليونان وحكمة الهند "[1].

وهذه الأخيرة التي تركت مؤلفات زاخرة بالحكم تدلّ على عمق التفكير وبلاغة التعبير، ومنه فإنّ الحكمة قد عرفت منذ أقدم العصور وهي تصدر عن ذوي التجارب الخصبة والعقول الراجحة.

❖الحكمة في الشعر العـــربي:

يبحث الناس في كل زمان ومكان عن الإنسان الحكيم ويرون في تجاربه دروساً يتعلمون منها ، ولذا نجد أنّ كلمة حكيم، إذا أطلقها الناس على أحد فكأنما يمنحونه وساماً رفيع المستوى، ولقباً يخلد اسمه في سجل أهل الرأي والبصيرة النافذة.

[1] – شلوف، حسين: شعر الحكمة عند المتنبي بين النزعة العقلية والمتطلبات الفنية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2006م ص؛ 15.

ولقد " زخر الشعر العربي بالحكم المستمدة من واقع الحياة العربية، إضافة لما استمده الشعراء العرب من الكتب المترجمة الفنية بالأمثال وبالآداب، فاقتبسوا منها ونظموا على منوالها "[1].

" والحكمة هي أقوال موجزة مشهورة صائبة الفكرة رائعة التعبير تتضمن معنى مسلماً به يهدف إلى الخير والصواب"[2]؛ موجودة في الشعر العربي منذ نشأته وعلى مرّ العصور الأدبية؛" فاضت على ألسنة الكثير من العرب فكثر فيهم العقلاء الذين تفجرّت ينابيع الحكم على أيديهم فعرفوا بالحكماء وانصاع إليهم السادة والأشراف للتقاضي في المنافرة وفك المنازعة في الخصومات "[3].

وإذا ما استعرضنا الشعر العربي وجدنا شعراء كثر ملئوا شعرهم حكمة أفادت الناس في زمنهم وأفادت من جاؤوا بعدهم، وأول ما سنبدأ به:

1. شعر الحكم في العصر الجاهلي:

" الحكمة الجاهلية دليل على رقي عقلية الشعراء وتفكيرهم وتأملهم في قضايا الناس والحياة وهي ثمرة تجارب طويلة وفطنة ونظر ثاقب وبصيرة نافذة بالناس وأخلاقهم والماضيين ومصائرهم وتأمل في سعي الإنسان وغايته ونهايته، ثم إحساس دقيق بالحياة" [4]

تعبر عن التمسك بالمثل العليا السائدة في المجتمع وترشد إلى الأخلاق الفاضلة التي ترفع من قدر الإنسان ، و " قول ناتج عن تجربة وخبرة ودراية بالأمور ومجرياتها، ولا يقولها إلا من عركته الأيام

[1] – محمد، سراج الدين: الحكمة في الشعر العربي، المرجع السابق، ص؛ 06.

[2] – أبو السعود، سلامة أبو السعود: الأدب العربي في مختلف العصور، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، د.ط، 2007م، ص82.

[3] – عروة، عمر: الشعر الجاهلي، حياة العرب الأدبية، المرجع السابق، ص؛ 189.

[4] – الجبوري، يحي: الشعر الجاهلي – خصائصه و فنونه – مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1986، ص؛ 403

ووسمته بسمها ولها الأثر البالغ في النفوس، فربما اشتهر شاعر ببيت يشتمل على حكمة جيدة فيحفظه الناس ويتناقلونه وتشتهر قصيدة أو شعر ذلك الشاعر بسبب تلك الحكمة "[1].

وكان العرب في الجاهلية لا يعدون الشاعر فحلاً حتى ينطق بالحكمة وأدب الجاهلية حافل بتلك الحكم البليغة المشتملة على تجارب قبائلها من سادة القبائل وأشرافها، وهذا الباب من أكرم أبواب الأدب العربي، ومن أجله كان العرب في تلك العهود يغالون بالشعر وينشؤون أبنائهم على مدارسته، وكانوا يسمون هذا الباب من الشعر بالأدب، لأنّ حفظ آثاره والتمثل لها يؤديان النفس ويهذبان الخلق.

وإذا كانت حكمة اليونان بنت الفلسفة، فإنّ حكمة العرب بنت التجربة، ولهذا " طبع شعر الحكمة في العصر الجاهلي بسمات منها: البساطة وارتباطها بالفطنة والتجربة وقد وضح يحي الجبوري هذه السمة، فقال: " ولا أزعم أنّها فلسفة ذات أصول بل هي الإحساس الذاتي والتأثر أقرب منها إلى التفكير العلمي، فهي نظرات وانطباعات...ومنها: الوضوح والبعد عن الغريب، وهناك سمة ثالثة وهي مخالطتها الموضوعات الأخرى "[2].

ولقد جاءت الحكمة الجاهلية على قدر كبير من النضج العقلي، فقد أفادوا من خبرة الماضيين وأخبار الملوك وقصص الأمم البائدة، وشهد بعضهم حياة طويلة حافلة، رأوا أجيالاً تمضي وأخرى تنشأ وأصابوا من خير الحياة ونشرها وذاقوا حلوها ومرّها، " والحكمة ليست من أغراض الشعر

[1] – ينظر: عبد الفتاح، عصام: الشعر الجاهلي – أشهر الشعراء الجاهليين –حياتهم– أشعارهم والمعلقات السبع والعشر،كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت، ص؛ 25.

[2] – مجاهد، مسعود أحمد: الحكمة في شعر طرفة بن العبد، المرجع السابق، ص؛ 73.

الجاهلي الرئيسية، ولكنها تأتي في الغالب غرضاً في تضاعيف القصيدة ونادراً ما أفردت لها قصائد أو مقطوعات "[1]، ليس لها مكان معيّن في القصيدة فقد تأتي أولها أو في آخرها.

وديوان الشعر الجاهلي حافل بالحكم التي تتضمن فهماً دقيقاً واعياً لخفايا النفس البشرية وما تطويه الأيام من العبر العظات " وممن جرت على ألسنتهم الحكمة في الجاهلية " زهير بن أبي سلمى " عبيد بن الأبرص "؛ و" عدي بن زيد " و" أمية بن أبي الصلت الأودي"[2].

وكان كلام " زهير " الدرب الذي سلكه الشعراء لبلوغ الحكمة وكأنّه يريد أن يسنّ دستوراً للحياة يصب فيه عصارة معارفه وخلاصة خبرته فيبدو في حكمته رصيناً عاقلاً بعيد عن الغلو والغرور قريباً من الحقيقة....يطلعنا على الناحية المترصنة على البيئة الجاهلية، وعلى النفسية الفطرية في نزعاتها الجدية يقول:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ *** عَلَى قَوْمِهِ يَسْتَغْنِ عَنْهُ وَيَذْمَمِ.

وَمَنْ يَجْعَلِ المعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ *** يُعِزُهُ وَمَنْ لَا يَتَقِ الشَتْمَ يُشْتَمِ.

ويقول أيضاً :

" وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ *** وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَمَاءِ يَسْلَّمِ "[1].

[1] – بوفلاقة، سعيد: دراسات في الأدب الجاهلي، النشأة والتطور والفنون والخصائص، المرجع السابق، ص؛ 125.

[2] – دراقي، زبير: المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1994م، ص؛ 91.

" ويقول شاعر من عبد القيس:

أَلَمْ تَرَ أَنَ الدَهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ *** وَأَنَ الفَتَى يَسْعَى بِحَبْلِهِ عَانِيا.

يَرُوحُ وَيَغْدُوا المنِيَةَ قَصْدُهُ *** وَلَابُدَّ يَوْماً أَنْ يُلاقِي الدَّوَاهِيَ "[2].

ويلخص لنا علقمة بن عبدة رأي الجاهليين في المرأة وما تطلبه من الرجل على شكل أبيات من شعر الحكم بقوله:

" فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِسَاءِ فَإِنِّي *** بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِسَاءِ طَبِيبُ.

إِذَا شَابَ رَأْسُ المرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ *** فلَيسَ لَهُ مِنْ وُدِهِنَ نَصِيبُ "[3].

ولقد أدت البنية الاجتماعية القبلية وما فيها من طبقية، وتمييز عنصري إلى ظهور شعراء خرجوا عن القبيلة سمو شعراء الصعاليك، كان شعرهم صورة للواقع المعاش وصورة صادقة لنفسيات من ينتمي لهذه الطائفة وأعمالهم وأخلاقهم، كما تميز بنبرة الرفض الواضحة لمظاهر الفقر والجوع والتمرّد على الأغنياء وأعراف القبيلة التي تميز بين الغني والفقير، فامتازوا بالصبر وشدّة التحمل والعطف على الفقراء والنجدة والمساواة بالغنائم والمفاخرة بغاراتهم على القبائل الأخرى.

[1] – الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، 1408هـ/ 1987م، ص؛ 32.

[2] – الشورى، مصطفى عبد الشافي: شعر الرثاء في العصر الجاهلي – دراسة فنية – ، مكتبة ناشرون، لبنان، وشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، دار نوبار للطابعة، القاهرة، ط1، 1995م، ص؛ 15.

[3] – خليفة، علي: الأدب في العصر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2014م، ص؛ 120.

"ولقد أنتجت الظروف القاسية التي عاشها الصعاليك شعرا يفيض حكمة يتضمن تجاربهم ورؤاهم ومكايدهم وقد وجدت حكمتهم مختلفة و مفارقة للحكمة القارة في قوانين القبيلة و أعرافها و ذلك للفرق و المباينة بين ما يعيشه الصعلوك و ما يعيشه الحر في رحابها، لذا جاءت حكمهم مباينة و حكيمهم مخالفا كونه الخبير بطبائع النفوس لأنّه يعبّر عما اختلج فيها وعجزت هي عن التعبير عنه، وما يزيد الناس قبولاً للحكمة وتمسكاً بها توافقها والمشاعر الإنسانية وأن تكتسب صفة التعميم في المدلول والاتجاه "[1].

وإنّ حكمة الصعاليك المثبوثة في تجاربهم الشعرية، يمكن أن ينظر إليها من خلال:

01. **حكمة الخلاص من الفقر والجوع**؛ يقول عروة بن الورد:

دَعِيني أَطُوفُ فِي البِلادِ لَعَلَنِي *** أُفِيدُ غِنَى فِيهِ لِذِي الحَقِ مِحْمَلُ.

أَلَيْسَ عَظِيماً أَنَ تُلِمَ مَلَمَةٌ *** وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الحُقُوقِ مِعْوَلُ.

فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَمْلِكْ دِفَاعًا بِحَادِثٍ *** تُلِمُ بِهِ الأَيَامُ فَالمَوْتُ أَجْمَلُ.

02. **حكمة المروءة**؛ يقول تأبط شراً وهو يرثي زميله في الصعلكة الشنفرى مبيناً نوع الميتة التي يجب أن يموت عليها الإنسان مدرجاً ما عليه نفسه من مروءة وكرم يقول :

وَأَجْمَلُ مَوْتِ المـرْءِ إِذَا كـــــانَ مَيِـتًا *** وَلابُدَ يَوْمًا مَوْتُهُ وَهُوَ صَابِرُ.

وَحِفْضُ جَأْشِي أَنَّ كُلَ ابْنَ حُـــــرَةٍ *** إِلَى حَيْثُ صَدَرَتْ لا مَحَالَةَ صَائِرُ.

وَإِنَّ سَـــــوَامَ المَـــــــوْتِ تَجْرِي خِـلَالَنَا *** رَوَائِحُ مِنْ أَحْدَاثِهِ وَبَوَاكِرُ.

[1] – ينظر : المسعودي، عمار: الحكمة في شعر الصعاليك، (دراسة تحليلية)، ص؛ 298.

03. حكمة من الموت والإغاثة؛ يقول تأبط شرا:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يحْتَلَ وَجْدَ جَدِهِ *** أَضَاعَ وقَاسَي أَمْرُهُ وَهُوَ مُدْبِرُ.

وَلَكِنْ أَخُو الحَزْمِ الذِي لَيْسَ نَازِلاً *** بِهِ الآمِرُ أَلَا وَهُوَ لِلْحَزْمِ مُبْصِرُ.

فَذَاكَ قَرِيعُ الدَهْرِ مَا كَانَ حَوَلاً *** إِذَا سَدَّ مِنْهُ مِنْخَرٌ جَاشَ مِنْخَرُ.

وبذلك كان في العصر الجاهلي، حكماء يفكرون في أمور الدنيا ووصلوا نتيجة تأملاتهم وتجاربهم إلى حكم رفيعة عالية وتلك الومضات الحكمية في الشعر لا تصطنعها الأعمار الطويلة فقط بل تصطنعها الظروف النفسية لهم أيضاً.

2. **شعر الحكم في عصر صدر الإسلام:** وهو عصر النور والخير والهداية وتقويم عقول الناس وقلوبهم وأخلاقهم، وقد استمر العرب في قول الشعر في هذا العصر لكنه ظهر مهذباً متأثراً بالقرآن والسنة؛ " ومما لا ريب فيه أنّ الشعراء القبائل ظلوا ينظمون شعرهم بالصورة الجاهلية، إذ دخلوا في الإسلام وكان الموت قد سبق إلى كثير منهم فماتوا قبل إسلامهم وحري بهؤلاء أن يدخلوا في غمار الجاهلين، فهم ليسوا مخضرمين بالمعنى الصحيح للخضرمة "[1].

[1] – ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي– ، دار المعارف، القاهرة، ط11، ص؛ 46.

وقد أصبحت الحكمة وثيقة الدين، معبّرة عن الأخلاق الجديدة، وللإسلام الفضل الأول في نمو وتعميق مدلول الحكمة عند العرب، فأصبحت مرادفة للتفقه في أمور الدين والدنيا قال الله تعالى ﴿ أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةُ ﴾ سورة النحل؛ الآية : ٢٥

وهكذا فتح الإسلام الحنيف الآفاق لنمو الحكمة الجاهلية الداعية إلى التآخي والمودة والتآلف والشجاعة، ونبذ تلك الحكم التي تدعو إلى الأخلاق الجاهلية النابعة من التطاحن والتنافس بين القبائل المتخاصمة، إذ أصبح العرب بفضل الإسلام أمّة واحدة وجسداً واحداً، إذا اشتكى منه عضو تداعى لا سائر الجسد بالسهر والحمى"[1].

فكانت الحكمة الإلهية الجليلة نور يهدي السائرين ومنار يأخذ بأيدي الضالين، وكانت سبباً قوياً ومباشراً في تطوير مدلول الحكمة الجاهلية وتنميتها وتخليصها من الأرجاس، وشاعت هذه الحكم على ألسنة المسلمين لأنّها تحتوي على إعجاز في المعنى واللفظ والتنسيق فيسهل حفظها في القلب وفهمها في العقل وترديدها على اللسان بحسب مقتضيات الأحداث.

ومن أبرز الحكماء في العصر الإسلامي " علي بن أبي طالب الذي يقول:

يَا مَنْ بِدُنْيَاهُ اشْتَغَلْ *** وَغَرَّهُ طُولُ الأَمَلْ.

المَوْتُ يَأْتِـي بَغْتَةً *** وَالقَبْرُ صُنْدُوقُ العَمَلْ "[2].

[1] – سلامة، يسري: الحكمة في شعر المتنبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2009م، ص؛ 24.

[2] – الشاوي، محمد بن صالح: حكم مختارات من عيون الشعر والأدب، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ط1، 1422هـ/ 2012م، ص؛ 49.

والرسول صلّى الله عليه وسلّم، هو إمام الدعاة وقائد الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وسياسته الحكيمة هي التي أنقذت العرب من الشرك إلى التوحيد ومن الظلمات إلى النور ومن البداوة إلى الحضارة ومن التبعية إلى قيادة الأمم إلى الله." وعن أبي كعب رضي الله عنه؛ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: " إِنَّ مِنَ الشِعْرِ لَحِكْمَة "[1]، وقد قال أيضاً عليه الصلاة والسلام أنّ:" أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد:

أَلا كُلُ شَيءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ *** وكُلُ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ.

سِوَى جَنَةُ الفِرْدَوْسِ أَنَ نَعِيمَهَا *** يَدُومُ وأَنَ الموْتَ لَا شَكَ نَازِلُ.

فالنبي عليه الصلاة والسلام اختار من شعر لبيد ما فيه حكمة، وكان الشعر في هذه المرحلة مسخراً لخدمة الإسلام ونشر الدعوة الإسلامية، فقل ما تتواجد الحكمة كغرض خاص لوحده، ومن الأبيات الخاصة بشعر الحكم، قول حسان بن ثابت:

وَذِي شِيمَةٍ عَسْرَاءَ تَسْخَطُ *** أَقُولُ لَهُ دَعْنِي وَنَفْسُكَ أَرْشَدِ.

فَمَا المالَ وَالأَخْلَاقُ إِلاَّ مَعَارَةٌ *** فَمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَدِ.

مَتَى مَا تَقَدْ بِالبَاطِلِ الحَقَ يَأْبَهُ *** وَإِنَ قُدْتَ بِالحَقِ الرَوَاسَيَ تَنْقَدِ.

ولعل الشاعر الذي كان أصل إلى الحكمة بالنسبة لهذا العصر؛ إنّما هو كعب بن زهير بن أبي سلمى" وليس غريباً على كعب أن يتقدم على غيره في هذا الغرض فوالده زهير جعل آخر معلقته حكماً

[1] – العمر، ناصر بن سليمان: المرجع السابق، ص؛ 21.

متتالية وحكم كعب تختلف عن حكم والده فهي حكم ومواعظ، وجّه الإسلام معظمها فتحولت إلى عظات ترفق القلوب"[1]، ويقول في شعره من البردة التي جاء فيها:

" فَلَا يَغُرَّنَّكَ مَا مَنَتْ وَمَا وَعَدَتْ *** إِنَّ الأَمَانِي وَالأَحْلامُ تَضْلِيلُ.

إلى قوله:

فَقَالَتْ: خَلُو سَبِيلِي لَا أُباً لَكُمُ *** فَكُلُ مَا قَدَرَ الرَحْمَانُ مَفْعُولُ.

فالحكمة الواردة في البيت الأول " إنّ الأماني والأحلام تضليل " صادرة عن حقيقة المعرفة الجادة التي لا تستجيب للأماني المعسولة ولا لأحلام الكسالى النائمين، أمّا الحكمة الواردة في البيت الثاني" فكل ما قدرّ الرحمان مفعول " فالشاعر فيها متأثر بتعاليم القرآن الكريم، إذ أنّ مضمون هذه الحكمة أقرب إلى قوله عزّ وجل: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونْ ﴾ سورة آل عمران (٤٧)

ومعنى هذا أنّ تعاليم القرآن تركت بصماتها على حكم الشعراء في هذا العصر"[2]، " ومن الحكم والمواعظ التي يستهدي فيها الذكر الحكيم قوله:

وَلَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيءٍ لَأَعْجَبَنِي *** سَعْيُ الفَتَى وَهُوَ مَخْبُوءٌ لَهُ القَدَرُ.

يَسْعَى الفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا *** فَالنَفْسُ وَاحِدَةٌ وَالهَمُ مُنْتَشِرُ.

وَالمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ *** لَا تَنْتَهِي العَيْنُ حَتَى يَنْتَهِي الأَثَرُ ".

[1] – الأدب العربي وتاريخه، العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي، للسنة أولى ثانوي، الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج بالجامعة، الرياض، د.ط، 1437م، ص؛ 107.

[2] – حسين، شلوف: شعر الحكمة عند المتنبي بين النزعة العقلية والمتطلبات الفنية، المرجع السابق، ص؛ 26.

ومن هنا ندرك أنّ الحكمة في صدر الإسلام كانت موجودة عن القرآن الكريم ولم يشتهر و يشتغل أحد بها كغرض قائم بذاته، وذلك لانشغال الناس بحكمة القرآن الكريم بما له من معانٍ رائعة.

3. شعر الحكم في العصر الأموي:

لقد ازدهر الشعر في العصر الأموي واتسعت آفاقه ومراميه، وتحسنت أساليب ورقت معانيه وألفاظه تبعاً لحالة العصر الجديد ومظاهره السياسية والدينية والقبلية والثقافية.

" وقد عرف من خلفاء بني أمية خاصة الكبار منهم مثل: معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان حرصهم على حسن إدارة دولتهم والسهر على مصالح الرعية لينتظم لهم أمر الملك، فلم يدّخروا وسعاً في اقتباس الأساليب الإدارية النافعة لتطبيقها في دولتهم وإنشاء الدواوين والأجهزة لإدارة مرافق الدولة "[1].

والحكمة عند الأمويين كانت مرتبطة بالعلم، ولكنّها أخذت تتطلع إلى الفلسفة اليونانية بتحفظ؛ فيقول الجاحظ عن خالد بن يزيد بن معاوية:" وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيباً شاعراً وجيه الرأي أريباً، كثير الأدب حكيماً، وكان أول من أعطى التراجمة، والفلاسفة، وقرب أهل الحكمة ورؤساء أهل كل صناعة وبذلك بدأت دائرة الحكمة تتسع لتشمل من يدرسون الفلسفة ويعالجون أمور الكيمياء، ويمهد هذا العصر للتغيير الذي طرأ على مدلول الحكمة بعد ذلك "[2]؛ وإذا تتبعنا الحكمة في العصر الأموي نجدها متداخلة بالأغراض الشعرية الأخرى كالرثاء والمدح والإخوانيات

[1] – طقوش، محمد سهيل: تاريخ الدولة الأموية، المرجع السابق، ص؛ 40.

[2] – ينظر: سلامة، يسري: الحكمة في شعر المتنبي، المرجع السابق، ص؛ 28.

،وكما نراها في الشعر السياسي والحماسي، وكانت فكرتها تنحصر في توطيد العلاقات الاجتماعية وذلك نظراً للفتن التي كانت تنشب فيه؛ " والحق أنّ الإسلام أثّر أثراً واسعاً في نفوس الشعراء، وهو أثر ما زال يتعمّق نفراً منهم حتى انقلبوا وعاظاً يعظون الناس ويذكرونهم باليوم الآخر وما ينتظرهم من الثواب والعقاب، وهم في أثناء ذلك يتحّدثون عن الموت وما تخرّم من قرون بعد قرون، كما يتحدّثون عن الدنيا ومتاعها الزائل مصورين طريق النجاة وأنّه يقوم على التقوى والعمل الصالح ومجانبة كل خلق رديء من مثل الكبر والبخل والخيانة والتحلي بكل خلق كريم من مثل التواضع والجودة والأمانة "[1]؛ ومن شعراء الحكمة في هذا العصر الجديد الذي كان منشغلاً بمدح بني أمية و بالتهاجي مع شعراء (النقائض)؛ إلاّ أنّ هذا لا يمنع من أن يكون شعره مشتملاً على الحكمة، يقول:

تَعَوَدْ صَالِحَ الأَعْمَالِ إِنِّي *** رَأَيْتُ المرْءَ يَلْزَمُ مَا اسْتَعَادَا.

ويقول الأخطل:

إِنَّ الضَغِينَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدِمَتْ ***كَالعَرِّ يَكْمُنُ حِيناً ثُمَ يَنْتَشِرُ "[2].

" ويقول الشاعر النصراني نابغة بن شيبان:

وَعَوِضِ الدَهْرَ بِالإِنْسَانِ جَمٌّ *** وَلَا يَنْجَى مِنَ التَلَفِ الجُدُودُ.

وَكُلٌّ مُنْعَمٌّ وَأَخِي شَقَاءٌ *** وَمَثْرٌ وَالمقَلُ مَعاً يَبِيدُ.

[1] – ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي –، المرجع السابق، ص؛ 182.

[2] – الشاوي، محمد بن صالح: حكم مختارات من عيون الشعر والأدب، المرجع السابق، ص؛ 48.

إِذَا مَا لَيْلَةٌ مَرَتْ وَيَوْمٍ *** أَتَى يَوْمٌ وَلَيْلَتُهُ جَدِيدُ.

أَبَارَ الأَوَلِينَ وَكُلَ قَرْنٍ *** وَعَاداً مِثْلَمَا بَارَتْ ثَمُودُ "[1].

4. شعر الحكم في العصر العباسي:

" ازدهر الشعر في العصر العباسي ازدهارا رائعاً، إذ انكب الشعراء على العربية يتقنونها ويتمثلون ملكتها وسليقتها تمثيلاً حقيقياً، فاقدين بذوقهم المتحضر إلى أسلوب مصفّى يجمع حيناً بين الجزالة والرصانة وحينا يجمع بين الرقة والعذوبة، وكان تأثرهم عميقاً بالثقافات المترجمة، وبما كانوا يستمعون إليه من محاورات المعتزلة؛ مما أثار في عقولهم ونفوسهم كثيراً من المعاني والخواطر التي لا تكاد تحصى، ودفعهم إلى التطور بموضوعات الشعر الموروثة تطوراً يلمس فيه روح العصر وخصب الفكر ورهافة الشعور، وأضافوا إليها موضوعات جديدة، بما نفذوا إليه من تحليل المعاني والملائمة بين أشعارهم وبيئاتهم المتحضرة وحياتهم اليومية "[2]؛ ولقد طبع العصر العباسي بطابع الحكمة، فدخلت فيها روافد الحضارات الهندية والفارسية واليونانية نتيجة لحركة الترجمة النشطة ولانشغال العلماء والأدباء والشعراء بدروس الكتب المترجمة.

" ويتجلى الرافد الهندي والفارسي في ترجمة عبد الله بن المقفع لكتاب "كليلة ودمنة " الذي أثر تأثيراً واضحاً في الحكمة العربية، وذلك لقربة من الروح الشرقية، وببراعة مترجمته الذي أجاد اختيار

[1] – ينظر: كفافي، محمد ديب: شعر الحكمة عند الشعراء النصارى من منظور إسلامي، ص؛ 159.

[2] – ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول –، المرجع السابق، ص؛ 05.

الموضوع الذي ينقله وبرع في تقريبه إلى الخيال العربي متى فتن به الناس وأدمنوا قراءته "[1]؛ وعبد الله بن المقفع يبيّن في مقدمة ترجمته للكتاب، أنّه صنف من أجل تعليم الحكمة للحكماء، وكنز للذين يبغون تلقي مبادئ الخلق القويم،" ولقد أثرت النقول عن الهندية والفارسية في جمع ابن المقفع أيضاً لكتابيه " الأدب الكبير " و" الأدب الصغير " اللذين يعكسان الوجهة الجديدة في فهم الحكمة النظرية التي اقترنت بالأدب، وأصبح من أول وظائفها التهذيب والتأديب وبث مكارم الأخلاق في نفوس الناشئة واعتمد " ابن المقفع " في الحكم التهذيبية على نقله من مصادر متعددة منها الفارسي والهندي واليوناني والإسلامي "[2].

ولقد اعترف شعراء هذا الجيل بالثقافات الأجنبية الداخلية واستوعبوها، فكان لهم فضل لا ينكر في إضفاء طابع جديد على الشعر سواء من حيث الشكل أو المضمون، وقد كانت عنايتهم بالمضمون أقهر وأظهر؛ لما اتصفوا به من رقي الفكر وسمو العقل؛ وقد تجّسد هذا السمو في العقل بصورة خاصة في الحكم الواردة في ثنايا قصائدهم الشعرية "[3].

فتزايدت القصائد الشعرية التي تزدحم فيها الحكم أو إثارة قضية فلسفية، وكأن الشعراء في هذا العصر أصبحوا يخضعون شعرهم للعقل أو الفلسفة أو المنطق مضيفين إليه كثيراً من تأملاتهم في الحياة والطباع؛ يقول " بشار بن برد " عن الصداقة والصديق متأثراً على ما يبدو بما كتبه " ابن المقفع " في كتابه "الأدب الكبير ":

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِ الأُمُورُ مُعَاتِباً *** صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الذِي لَا تُعَاتِبُهْ.

[1] – سلامة، يسري: الحكمة في شعر المتنبي، المرجع السابق، ص؛ 31.

[2] – سلامة، يسري: المرجع نفسه، ص؛ 33.

[3] – ينظر: حسين، شلوف: شعر الحكمة عند المتنبي بين النزعة العقلية والمتطلبات الفنية، المرجع السابق، ص؛ 28.

فَعِشْ وَحِيداً أَو صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ *** مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَةً وَمُجَانِبُهْ.

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارَةً عَلَى القَذَى *** ظَمِئْتَ وَأَيُ النَاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ.

وقد سئل " أبي تمام " عن شعره لما كان يطبعه من صعوبة والتواء: لم تقول ما لا يفهم ؟

فقال:لم لا تفهم ما يقال؟، ذلك لأنّ الشاعر كان يعتمد في شعره على الفلسفة والتفكير الفلسفي الثقافي، يقول:" أبي تمام في فضل المحسود ونقص الحسود:

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ *** لُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانُ حَسُودِ.

لَوْلَا اشْتِعَالُ النَارِ فِيمَا جَاوَرَتْ *** مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عُرْفِ العُودِ "[1].

" وشعر أبي نواس الذي ينسب إليه في الزهد يمكن عد بعضه شعراً في الحكمة لأنّه مجموعة تجارب إنسانية ومواعظ يسوقها الشاعر من وقع تجربته، بل إنّ القسم لا يتحدّث فيه عن إقرار بالذنب وطلب العفو هو من شعر الحكمة الخالصة وذلك كقوله:

وَمَا أَحْكَمَ الرَأْيَ مِثْلَ امْرِئ *** يَقِيسُ بِمَا قَدْ مَضَى مَا بَقِى.

وَصَمْتُكَ مِنْ غَيْرِ غَيٍّ اللِسَانِ *** أَزْيَنُ مِنْ هَذْرِ الـمَـنْطِقِ. "[2]

ومن خلال رقي فكر الشعراء وأسلوبهم الفلسفي التأملي العقلي والاهتمام بالمضمون، مهدوا السبيل لإثراء الشعر و إغنائه وتنوير فكر الشعراء الذين جاؤوا بعدهم على دروب جديدة في النظم.

[1] – ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول –، المرجع السابق، ص؛ 165.

[2] – هدارة، مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هـ، دار العلوم العربية، ط1، 1408هـ/ 1988م، ص 478.

وهكذا تطور شعر الحكمة بعد أن كان خطوات متناثرة في الشعر القديم صار له شعراء متخصصون وقصائد مقصورة عليه، كما اتّسعت معانيه باتساع آفاق الثقافة في هذا العصر، وباتصالها بآداب وحكم وأمثال الأمم الأخرى من فرس وهنود ويونان، ولعلنا إذا وجدنا بعض التشابه في الشعر الحكمين ندرك أنّ من بين أسبابه نقل الشعراء المختلفين عن مصدر واحد؛" أمّا القيمة الفنية لشعر الحكمة، فهي ضئيلة للغاية لأنّ مثل هذا الشعر يجنح إلى ناحية عقلية، محضة قليلة الحظ من الشعور العاطفي والوجداني، ولهذا يجهد الإنسان عقله عند قراءته ولا يحس بأي تجاوز عاطفي معه "[1]؛ وغاية ما يقال في هذا النوع من الشعر أنّه ضرب من النظم الذهني فيه ناحية تعليمية عظيمة القيمة، ولكنّه ليس بالشعر الذي يكون الشعور مداره والعاطفة أساس فيه، وقد صدق " ابن رشيق " حين قال:" فلا يجب للشعر أن يكون مثلاً كله وحكمة ".

[1] – هدارة، مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هـ، المرجع السابق، ص؛ 480.

المبحث الثاني: مناهل الحكمة في الشعر العربي وخصائصها.

– مناهل الحكمة في الشعر العربي:

مناهل الحكمة في العصر الجاهلي: اشتهر العرب بالحكم في الجاهلية، وكانت في الغالب تستقي من مناهل عدّة لعل أهمها الموروث الثقافي من أمثال وأقوال وحكايات وأساطير وكذا المؤثرات الأجنبية والتجارب الحياتية والذاتية والخبرات والمشاهدات الشخصية.

المؤثرات الأجنبية: يؤثر الموروث الثقافي العربي بمؤثرات أجنبية؛ وذلك نتيجة لامتزاج الثقافي بين العرب وغيرهم ولكن بعض الشعراء العرب، " لم يعجبهم الأمر فراحوا يرون أنّ العرب كانت السباقة لتلك الحكم والمعاني الجميلة "[1]؛ فتأثرت الحكمة بمؤثرات أجنبية، فيظهر أنّ العرب لم يكونوا منعزلين عن غيرهم من الشعوب.

التجارب الذاتية: العربي معروف بدقة الملاحظة وعمق التفكير، وهذا ما أنتج ما يسمى " بالحكمة " فقد كانت في الغالب " مستقاة من تجارب القوم الذاتية فهي مستمدة من الواقع ونتائجها محسوسة لا غموض فيها"[2]؛ ومنه نلحظ أنّ العربي كان راقياً التفكير عميق النظر، والحكمة عنده تعدّ أرقى مظاهر عقله.

[1] – الحاسد، ثامر سليمان: تأثر بالأدب العربي بالآداب الأخرى، جامعة الملك سعود، السعودية، د.ط، 1433، ص؛ 13.

[2] – ينظر: عزيرية، هجيرة: تجليات الحكمة في الشعر العربي، المرجع السابق، ص؛ 28.

مناهل الحكمة في العصر الإسلامي: أتى الإسلام بقيم جديدة تختلف عن تلك التي كانت سائدة في المجتمع العربي الجاهلي، ممّا أثر في الحكمة ولعل أبرز مناهلها بعد قدوم الدين الجديد:" الوحي الإلهي حيث يعدّ من المصادر الأولى إذ ترد فيه عبارات موحية وألفاظ معبرة، فالقرآن الكريم كلهّ حكم ودروس للبشرية "[1].

وكذا الحديث النبوي الشريف الذي يشرح ويفصل، كما أنّها اتخذت من الخطابة منهلا لها فقد كانت لسان حال الدعوة الإسلامية وأداتها الأولى التي تدعو العرب إلى نبذ العقائد الجاهلية؛ وقد كانت تعتمد في المواقف التي تستدعي ذلك، فجاءت على لسانهم العبارات البليغة والحكم الصائبة "[2]؛ فهي تعتبر منهلاً أساسياً تتعددّ فيه الموضوعات.

تطور الموروث الثقافي: تطور الموروث الثقافي في العصر الإسلامي نتيجة؛" لثروة القرآن الكريم والحديث النبوي وأقوال الصحابة وكذا أقوال الوعاظ والنساك والزهاد لأثرها المباشر في إثراء الفكر والوجدان "[3]؛ فقد جاء على لسانهم أقوال تتسم بالعمق الفكري الإسلامي وهي إضافات جديدة للموروث الثقافي.

نمو التجارب الذاتية: استمرت التجارب الذاتية منهلاً رئيسياً للحكمة في الشعر الإسلامي حيث:" تعددّت موضوعاتها ونمت بنمو الفكر الإنساني واتّساع آفاق ملاحظاته ثم جاءته التجارب

[1] – توفيق، عمر إبراهيم: الحكم والمواعظ لابن ليون التجيبي، المرجع السابق، ص؛ 11.

[2] – الخوالدة، محمد أحمد: تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي، مذكرة ماجستير جامعة فيلادلفيا، 2016م، ص؛ 10 و11.

[3] – عزيرية، هجيرة: تجليات الحكمة في الشعر العربي، المرجع السابق، ص؛ 30.

الذاتية للشاعر في المجتمع الجديد "[1]؛ فقد نمت خبرات الإنسان ولم يبقى كما كان في العصر الجاهلي بحيث وصل إلى عمق إنساني وفكر غير معتاد في الجاهلية.

المؤثرات الأجنبية:اتسعت دائرة اتصال العرب بالمحيط الخارجي مع ظهور الإسلام وذلك راجع للفتوحات والدعوة للدين الجديد " ممّا أدّى إلى ظهور الأثر في الامتزاج اللغوي والحضاري، وكذا أخذ المجتمع في استيعاب القيم الإسلامية ومنه فإنّ الحكمة في هذا العصر ظلّت عربية إسلامية "[2].

ومنه نستنتج أنّ الإسلام لعب دورا كبيرا في زيادة عمق التفكير العربي وكذا دقة الرؤية، مما جعلهم بعقل راجح مصيب في إطلاق الحكم.

موضوعات شعر الحكم:

طرقت الحكمة في الأدب العربي موضوعات لا تحصر فقد جالت في شتى نواحي الحياة من غرور الدنيا وتقلبها ومن شؤون الحياة اليومية، إذ نجد أنّ هناك الكثير من التأملات والأفكار والمعاني والصور الإنسانية التي يطالعنا بها الشاعر، والتي تعبّر عن آلام الناس في هذه الدنيا والحالة الاجتماعية المزرية؛ فالحكمة كانت،"نظرات في الحياة والموت وانطباعات وتأملات في أمور الدنيا وأسرار الكون

[1] –عزيرية، هجيرة: تجليات الحكمة في الشعر العربي، المرجع السابق،ص؛31.

[2] – عزيرية، هجيرة: المرجع نفسه، ص؛32.

ومحاولات لوضع نظم أخلاقية يتبعها الناس، فيما يرتضونه من صفات حميدة أو ما ينكرونه من صفات قبيحة "[1].

1) حكم فكرية:

الحياة والموت: من أبرز المواضيع التي دار حولها شعر الحكمة جدلية الحياة والموت، فالموت نصيب الإنسان إن لم تصبه اليوم فغدا، والمرء مجبر على أن يعاشر الناس في الحياة وإلاّ أذلوه، فقد كان الشعراء يفكرون في أمور الدنيا ويصوغون حكم تعكس تجاربهم وتأملاتهم؛ " فحب الإنسان الدافق لهذه الحياة هو الذي دفعه كي يستجلي أسرارها ومع هذا لم يغب عنه شقاؤها، وكان متفهماً لأبعاد ومآسيها "[2].

فقد عالج بإطناب حتمية الموت، لأنّها :" حقيقة ومصير لم يسلم منه أحد لا ملك ولا سوقة و كم من دولة زالت و جماعة بادت و أمم محيت والشعراء أقرب إلى استيعاب هذه الحقائق والتأثر بها "[3].

ومن الشعراء اللذين تناولوا هذا الموضوع " عبيد بن الأبرص حيث يقول:

وَكُلُ ذِي غِيبَةٍ يَؤُوبُ *** وَغَائِبُ المَوْتِ لَا يَؤُوبُ.

[1] – رضابي، أبو الفضل وضيغني علي: الحكمة في معلقة زهير أبي سلمى، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة الثانية، العدد 04،ص؛ 37.

[2] – الريني، محمد عبد الرحيم: حقيقة الموت بين الفلسفة والدين، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2011م، ص؛ 21.

[3] – طه، غالب طه: الحكمة الإنسانية والمثالية في شعر الخنساء ، استبصار استقرائي في الثمات والثقافات ، مجلة روى نثرية، العدد 05، 2017م، ص؛ 13.

كما نجد طرقة بن العبد يقول:

أَرَى الْمَوْتَ أَعْدَادَ النُفُوسِ وَلَا أَرَى *** بَعِيداً غَدًا مَا أَقْرَبَ اليَوْمَ مِنْ غَدٍ.

لَعَمْرُكَ إِنَ الـمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى *** لكا لِطُولِ المْرَخَى وَثَنْيَاهُ بِاليَدِ.

وكذا العديد من الشعراء، حيث نجد أنّ الموت في رأي " زهير بن أبي سلمى " قوة جاهلة عمياء لا ينجوا منها الشجاع ولا الجبان، يقول:

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ *** تـُمِتْهُ وَمَنْ تخْطِيءْ يُعَمِرْ فَيَهْرَمِ.

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ *** وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَمَاءِ يَسْلَمِ.

إنّ موقف الشعراء من الحياة يصطبغ أكثر من صبغة ،ويتأثر بأكثر من عامل فنجده متباينا أشدّ التباين ، فنجد " زهير مل الحياة بعد ثمانين سنة وخيل إليه أنّها عبء ثقيل لا يطاق احتماله "[1]؛ فيقول :

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ *** ثَمَانِينَ حَولًا لا أبالك يسأم.

وكذا عبيد الأبرص لم يكن أقل منه إحساساً بمرارة الحياة وتفاهتها ، قال :

وَالمْرْءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبِ *** طُولُ الحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبُ.

[1] – طليمات، غازي وأشقر، عرفان: الأدب الجاهلي، قضايا، أغراضه، أعلامه، فنونه، دار الإرشاد، حمص، ط1،1992م ص؛212.

الدهر:" إنّ الدهر موضوع واضح من موضوعات الحكمة الذي قيل في صداه شعراء الجاهلية والإسلام، ومن الشعراء اللذين قالوا حول الدهر، الشاعر " تأبط شرا" حيث يقول"[1]:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَحْمِلْ وَ قَدْ جَدَ جَدُهُ *** أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرُهُ وَهُوَ مُدْبِرُ.

وَلَكِنْ أَحُو الحَزْمِ الذِي لَيْسَ نَازِلاً *** بِهِ الـخَطْبُ إِلاَّ وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ.

فَذَاكَ قَرِيعُ الدَهْرِ مَا عَاشَ حَوْلاً *** إِذَا شَدَّ مِنْهُ مِذخَرٌ جَاشَ مِنْخَرُ.

الخير والشر:تناول الشعراء هذا الموضوع منذ العصر الجاهلي، حيث نجد العديد من الشعراء منهم الشاعر " مسافح بن حذيفة يقول:

أَوْلَاكَ بَنُو خَيْرٍ وَشَرٍ كِلَيْهِمَا *** جَمِيعاً وَمَعْرُوفٌ أَلَمٌ وَمُنْكَرُ.

كما تناولوا موضوع الغني والفقر حسب أوضاع الناس وأحوالهم؛ فالمال هو الذي يرفع من قدر الناس فحاولوا أن يبيّنوا للناس أنّ الأوضاع لا تدوم، فالغني لا يبقى على حاله وكذا الفقير فالفقير فقير النفس والغني غني النفس، وهذا ما تحدّث عنه " قيس بن الخطيم، في قوله:

غَنِـيُ النَفْسِ مَا عَمَرَتْ غَنِيُ *** وَفَقْرُ النَفْسِ مَا عَمَرَتْ شَـقَاءُ.

[1] – الصراف، ورود وليد حمود حسين: أشعار الحكمة في ديوان الحماسة لأبي تمام، مذكرة ماجستير، 2005م، ص؛ 94.

2) **حكم خلقية:** يقصد بالحكم الأخلاقية كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه ما يتعلقّ بعلاقته بربّه ومع نفسه وعلاقته مع غيره من بني جنسه، فقد تعدّدت الحكمة في هذا المجال كمكارم الأخلاق والقناعة والصبر.

الصبر: الصبر هو " تحمّل أعباء الدنيا ومشاكلها دون الشكوى ولا التذمر؛ فقد دعا السموأل بن عاديا إلى تعويد النفس على التحمل والصبر وإلى الحلم وترك الظلم والبغي "[1]؛ في قوله:

إِذَا المَرْءُ لَمْ يُدَنِسْ مِنَ اللُؤْمِ عِرْضَهُ *** فَكُلُ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ.

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَفْسِ ضَيْمَهَا *** فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَنَاءِ جَمِيلُ.

الحلم والجهل: الحلم هو ترك الانتقام عند شدّة الغضب والقدرة على ذلك، وتعتبر صفة من صفات الله فنجدها في طيات القصائد الحكمية؛" والرجل الحكيم هو الذي يكون صاحب تجارب في مجمل حياته، وقد ذكر في هذا المعنى الشاعر الجاهلي " عدي بن زيد العبادي " قائلاً:

وَفِي كَثْرَةِ الأَيْدِي لِذِي الجَهْلِ زَاجِرٌ *** وَلِلْحِلْمِ أَبْقَى لِلرِجَالِ وَأَعْوَدُ "[2].

و أرو أنّ الإنسان العاقل والمتفهم يغلب حلمه جهله، وأنه يتصرّف بروية وحكمة وعدم فقد السيطرة على الموقف.

[1] – ينظر : الصراف، ورود وليد حمود حسين، أشعار الحكمة في ديوان الحماسة، المرجع السابق، ص 105.

[2] – الصراف، ورود وليد حمود حسين : المرجع نفسه،ص؛ 110.

الصديق: إنّ علاقة الصداقة هي كعلاقة الأخوة تقوم على الحب وعلى الكثير من الصفات التي تجمع الأصدقاء بعضهم ببعض، ويجب اختيار الصديق المناسب ولا تكون العلاقة علاقة وقتية، " وقد ذكر الشعراء في معنى الصديق وما تروم له تلك العلاقة من حكمة في حسن اختيار الصديق، فنجد حاتم الطائي "[1]، يقول:

وَمَا أَنَا بِالسَاعِي بِفَضْلِ زِمَامِهَا *** لِتَشْرَبَ مَاءَ الحَوْضِ قَبْلَ الرَكَائِبِ.

وَمَا أَنَا بِالطَاوِي حَقِيبَةَ رَحْلِهَا *** لِأَبْعَثَهَا خِفًا وَأَتْرُكَ صَاحِبِي.

إِذَا كُنْتَ رَبَا لِلْقَلُوصِ فَلَا تدَعْ *** رَفِيقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبِ.

أَنِخْهَا فَأَرْكِبْهُ فَإِنْ حَمَلَتْكُمَا *** فَذَاكَ وَإِنْ كَانَ العِقَابُ فَعاَقِبِ.

ومن كل ما سبق نستنتج أنّ لشعر الحكم موضوعات لا تعدّ ولا تحصى حسب مقتضيات الأحوال في مختلف العصور.

[1] – الصراف، ورود وليد حمود حسين: المرجع السابق، ص؛ 116.

- **علاقة شعر الحكم بالأدب والفلسفة والزهد والمثل:**

1- علاقة شعر الحكم بالأدب:

ذهب علماء اللغة في معنى لفظة " أدب " مذاهب شتى، فمنهم من قال أنّه " الظرف وحسن التناول " ومنهم من قال أنّه:" عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ "، ويستفاد من أقوالهم جميعاً أنّه خطة المحامد وسنة الفضيلة والإستقامة "[1].

" وقد ميزوا لاحقاً بين الأديب والعالم فجعلوا " الأديب من يأخذ من كل شيء أحسنه فيألفه، والعالم من يقصد لفن من العلم فيتعلمه "؛ ثم فرعوا من تلك المعاني معناً خاصاً كان الأدب فيه جملة الفنون الكتابية المستطرفة، والأديب كل من أحسن العربية وتعاطى صناعتي النظم والنثر ببلاغة، أمّا في عهد النهضة فقد اشترك العرب في مفهوم الغربيين لمعنى الأدب، وكان للأدب معنيين: معنى عام ومعنى خاص: أمّا المعنى العام فهو عبارة عن جملة ما نشأته الأقلام العلماء والكتّاب والشعراء، وأمّا المعنى الخاص فهو عبارة عمّا سبك في قالب ظريف وصيغ على نمط الإنشاء الأنيق من الكلام المنظوم والمنثور"[2].

وكانت الحكمة في الجاهلية عبارة عن تجارب إنسانية عابرة، وليدة الفطرة وسجية الأطر المادية للبيئة الضيقة، ووجدت على شكل أبيات شعرية قليلة ومنتشرة في قصائد الجاهلين هنا وهناك وأكثرها للنصح والموعظة وضرب المثل، وقلما تأتي مستقلة بذاتها من دون أن تتداخل مع الأغراض

[1] – الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم– ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986م، ص 13.

[2] – الفاخوري، حنا: المرجع نفسه، ص؛ 14.

الأخرى، ومثلما وجدت الحكمة في الشعر وجدت كذلك في النثر أيضاً وخاصة في الأمثال والخطب الوعظية، وممن ذاع صيتهم في قول الحكمة من الخطباء قس بن ساعدة الإيادي، الذي كان من حكماء العرب وفي صدر الإسلام والعصر الأموي، كانت الحكمة مأخوذة عن القرآن الكريم ومتداخلة في الأغراض الشعرية، وعند الوصول إلى العصر العباسي، نجد المعنى التعليمي والتهذيبي يتقابلان ويكونان معنى واحد وذلك ما نراه عند " ابن المقفع" الذي سمى رسالتين له تتضمنان ضروبا من الحكم والنصائح الخلقية والسياسية باسم (الأدب الصغير) و(الأدب الكبير) والكتابان عبارة عن كلمات حكمية في الأخلاق وفيهما أثر كبير من الثقافة الفارسية، وهذه الكلمات الحكمية في الأخلاق لا تحلل النفس والخلق تحليلاً دقيقاً واسعاً مستوفياً، ولا تذكر الخلق فتسقط القول فيه وتذكر وصلته والسبيل إلى اكتسابه ولكنها عبارة عن جمل موجزة شبيهة بالأمثال

2- علاقة الحكمة بالفلسفة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ سورة البقرة(٢٦٩)

"فكثيراً ما تذهب أفكار الحكماء وخواطرهم إلى ما يمكن وينبغي أن يكون فضلاً عما هو كائن فعلاً، ولهذا ارتبطت الحكمة بالفلسفة، بل إنّ الفلسفة ذاتها موجودة – على ما قيل – من فيلوصوفيا بمعنى الحكمة"[1].

[1]- قريب الله، حسن فاتح: الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الإسلامية، مطبعة الأمانة، مصر، د.ط، د.ت، ص 06.

" والبحث في الفلسفة أولاً وقبل كل شيء موقف من الحياة، وهو يمثل أحد مستويات تفكير الإنسان في هذه الحياة، ومن ثم فإنّ الفلسفة ليست ولا يمكن أن تكون بحال من الأحوال تحليقاً بعيداً عن الحياة، بل هي أشعال فيها وتعميق لها واكتشاف لأبعادها "[1].

ولقد اهتمّ الفلاسفة منذ القدم بتعريف الحكمة، فعدّها أفلاطون إحدى الفضائل الأربعة (الحكمة – العدالة – الشجاعة – الاعتدال)، وعدها أرسطو رأس العلوم والأدب والفن وهي تلميح الإفهام ونتاج الأذهان إلاّ أنّ بعض الفلاسفة مثل :" هيجل" – أعظم فلاسفة الألمان – عد الحكمة أعظم شأنا من الفلسفة، وأنّ الحكيم أعلى مرتبة من الفيلسوف إذ يقول:" الحكمة هي أعلى المراتب التي يمكن أن يتوصل إليها؛ فبعد أن تكتمل المعرفة ويصل التاريخ إلى قمته تحصل الحكمة، وبالتالي فالحكيم أعلى شأناً من الفيلسوف والحكمة هي المرحلة التالية والأخيرة بعد الفلسفة.

ولقد اختلف الفلاسفة الأقدمون في المساواة والمفارقة بين الفيلسوف والحكيم فمنهم من جعلها في كفتي ميزان متعادلتين، ومنهم من رجّح كفة الحكمة على الفلسفة إلاّ أنّ ثمة حقيقة اتفقا عليها، وهي أنّ الحكمة هي نتاج فكر واع ورأي ثاقب وبصيرة نافذة، حضنت عراك الحياة ففاضت القرائح بما يحقق غاية المصالح، وذلك يظهر جليا من خلال تعريفاتهم للحكمة، ولم يعرفوا بأنّها هبة ومد وعطاء من الله تعالى.

[1] – قريب الله، حسن فاتح: الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الإسلامية، المرجع السابق؛ الصفحة نفسها

3- علاقة الحكمة بالزهد:

تعدّدت عبارات السلف في تعريف الزهد في الدنيا وكلها كانت تدور حول عدم الرغبة فيها وخلو القلب من التعلق بها، قال شيخ الإسلام " ابن تيمية":" الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة والورع وترك ما تخاف ضرره في الآخرة "، واستحسنه " ابن القيم" إذ يقول: والذي أجمع عليه العارفون أنّ الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذ منازل الآخرة.

"وعلى الرغم من التقاء شعر الحكمة وشعر الزهد في ناحية أو أكثر إلاّ أنّهما يفترقان افتراق واضحاً فالزهد مذهب في الحياة له قواعده ورسومه الخاصة، وله ملابسه وفرائضه المعينة، ويفترض في متبعي هذا المذهب أن يتجردوا لله ويعكفوا على صلواتهم في خلوة من البشر مبتعدين عن الترف وزخرف الدنيا، لا يبتغون عرضاً من أعراضها، ولا مطلبا من مطالب الحياة المادية التي يقبل عليها الإنسان العادي، أمّا الحكمة فهي إن لم تكن تجربة ذاتية؛ مذهب في الشعر لا في الحياة ينظم فيه صاحبه بتأثير نظرة فلسفية للكون وحقائق الأشياء فيه "[1]؛ بحكم ثقافته أو تكوينه الفكري، ولا يطلب منه شيء وراء ذلك، فليس هناك قواعد ولا رسوم معينة للشعراء الحكماء وليست هناك فرائض عليهم أداؤها، ولا أي تقليد آخر مثلما يفترض في الزهد، لهذا لا يستغرب إن وجد من الشعراء الذين يملؤون شعرهم بالحكمة والأمثال والآداب والمواعظ، زنديقا أو فاسقاً أو ما شابه لأنّ هذا لا ينفي ذلك.

[1] – هدارة، مصطفى: إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هجري، المرجع السابق، ص 474.

4- علاقة الحكمة بالمثل:

اختلط مفهوم الحكمة بالمثل في كثير من المؤلفات الشرقية قديمها وحديثها، وهذان المفهومان كان يرتبطان بتهذيب النفس البشرية، وتعريفها بعصارة الحياة وخبرتها، إلاّ أنّ المثل ينفرد بميزة هامة هي الشيوع والإيجاز ووحدة المعنى وصحته، ولقد جعل كل أحد من علماء الأدب العربي للمثل تعريفاً خاصاً به يشبهه بعضه بعضاً " يقول المبرد ": المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يشبه به الحال الثاني بالأول والأمثل فيه التشبيه، وقال " ابن المقفع:" إذا جُعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وأنفع للسمع وأوسع لشعوب الحديث "[1]؛ " وقال إبراهيم النظام:" يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام:

1. إيجاز اللفظ.
2. إصابة المعنى.
3. حسن التشبيه.
4. جودة الكناية؛ فهو نهاية البلاغة "[2].

والأمثال من أقدم الثقافات الشعبية التي لاءمت أذواق الناس وعقولهم من عوامهم وخواصهم والحكمة تلتقي مع المثل في بعض الخصائص إلاّ أنّها تختلف عنه في خصائص أخرى ومن أوجه الاختلاف أنّ الأمثال تربط حاضر التجربة بماضيها، فهي غير منفصلة عن الحوادث والمناسبات تعتمد على التشبيه والمقارنة أكثر من اعتماد الحكم عليها، كما أنّ الحكم لا ترجع إلى الماضي

[1] – ينظر : الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: الأمثال والحكم، المصدر السابق، ص 06.

[2] – الجوزية، ابن القيم: الأمثال في القرآن الكريم – دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981م، ص 22.

وإن كانت حصيلة تجاربه لأنّها تنطلق من تلك التجارب وتعرض عن أصحابها ظروفهم سواء نسبت تلك الحكم لأصحابها أو لم تنسب.

الحكم عموماً وليدة تجربة الحكيم وحصيلة خبرته وتتصدر تجارب الحياة ولا تجيء في أعقابها تهدف إلى التعليم والتوجيه والإرشاد بشكل مباشر، أمّا الأمثال وإن أفادت التوجيه فإنّه توجيه غير مباشر في الأغلب وغير مقصود لذاته، تضرب في أعقاب التجربة ولا تتصدرها، وإذا اقتصرت الأمثال على ما يجري في الحياة اليومية، فإنّ الحكم تتناول هذا الذي يتعثر به الناس في حياتهم اليومية وتتجاوزه إلى أفكار وخطوات تبتعد قليلاً أو كثيراً عنه، فالمثل ألصق بما يعهده الناس في حياتهم من الحكم، ومن هنا كان شيوع الأمثال في طبقات الناس أكثر من شيوع الحكم.

" وعلى أي حال فالصلة وثيقة بين أدب الحكمة وأدب الأمثال وكلاهما تجربة حياة نابعة من الواقع اليومي للناس، وكلاهما يعتمد على صياغة لغوية معبرة وموجزة ومتقنة وإن كان المثل يتحلّل منها أحياناً حين ينبع من أفواه العامّة وحياتهم "[1].

وممّا سبق أتضح أنّ العلاقة بين الحكم والمثل عام خاص مطلق، فلو وجدت عبارة صادقة موجزة محكمة خالية من التشبيه معبّرة عن التجربة في الحياة غير سائرة فإنّها حكمة لا غير، ولو وُجدت في صورة تشبيهية، وسارت حتى ابتذلت فهي مثل وحكمة، فمن الممكن أن تنفرد الحكمة من المثل، ولا يمكن أن يفترق المثل عن الحكمة وهذا هو السبب فيما قاله " العسكري" في جمهرة الأمثال:كل حكمة سائرة تسمى أمثالاً.

[1] – سلامة، يسري: الحكمة في شعر المتنبي، المرجع السابق، ص؛ 43.

الخصائص الفنية لشعر الحكم:

"اتّخذ شعراء الحكمة منهجين في كتابة الشعر الخاص بهذا النوع من الأغراض:

أولهما: أن يتمّ تخصيص القصيدة بالكامل للتحدّث عن الحكمة ومواقف الحياة وما الذي يجب على المرء فعله إزاء الظروف والأحداث المختلفة.

ثانيهما: أن يتمّ تضمين بعض أبيات الحكمة في القصائد التي يتم كتابتها لأغراض شعرية أخرى وفي كلا الحالتين فإنّ مضمون الحكمة في النص الشعري لا يتأثر؛ فبعض الشعراء قادرون على تكثيف المعنى الشعري في بيت شعري واحد يتضمّن تجربة الحياة برمّتها وذلك للإيجاز دون إطالة، وبعضهم قد يكتب قصيدة للحكمة تحتوي على العديد من الحالات الحياتية التي تعكس التجربة الإنسانية"[1].

وأشعار الحكمة التي جاءت على شكل مقطوعات في الغالب، جاءت لكي يسمح للشاعر أن يعبّر عن المضمون الواحد في المواقف الواحدة بالسرعة المطلوبة، لأنّ المقطوعة هي الشكل الذي يحقق للشعر النموذج اللائق للتعبير عن تجاربهم في الحياة.

وتعدّ المعاني والألفاظ الشعرية الركيزة التي يؤسس عليها كيان القصيدة العربية، عموماً وقصيدة شعر الحكم على الأخص، التي تتميّز ألفاظها بالجزالة والسهولة والرقّة بعيداً عن الألفاظ الوحشية أو الركيكة السوقية يقول الشاعر " حاتم الطائي:

وَتُذْكَرُ أَخْلَاقُ الفَتَى وَعِظَامُهُ *** مُغَبَّبَةٌ فِي اللَحْدِ بَالٍ رَمِيمُهَا.

وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الفَتى *** يَدَعْهُ نَعْبُهُ عَلَى النَفْسِ ضِيمُهَا.

[1]- سلامة، يسري: الحكمة في شعر المتنبي، المرجع السابق، ص؛ 23.

والحكمة الإلهية الجليلة في العصر الإسلامي، كانت نور يهدي السائرين فقد " نزل القرآن الكريم هدى ورحمة للعالمين فكان جامعاً لكل المبادئ والقيم السامية، ومخططاً للمنهج السليم الذي ينبغي أن يسير عليه من يبغي السعادة في الحياة الدنيا والآخرة داعياً الناس أن يجتهدوا ويشحذوا عقولهم "[1].

يقول الشاعر الإسلامي " يزيد بن الحكم الثقفي ":

يَا بَدْراً وَالأَمْثَالُ يَضْـ *** رِبُهَا لِذي اللُبِ الحَكِيمُ.

دُمْ لِلْخَلِيلِ بِوُدِهِ *** مَا خَيْرُ وُدٍ لَا يَدُومُ.

وَأَهْدِفْ لجَارِكَ حَقَهُ *** وَالحَقُ يَعْرِفُهُ الكَرِيمُ

ولاشك أنّ الألفاظ لا تصنع لغة الشعر بمعناه الفني، إنّما هي تكوّن التراكيب بوصفها طرائق للتعبير تؤدي الفكرة المستوحاة؛ من الطبيعة ومن الواقع الطي يعيشه الشعراء، وكل ذلك نابع من صدق التجربة وعمق الأفكار والمشاعر الوجدانية، أمّا أغلب الاستعارات الخاصة بأبيات الحكمة استعارات تخيلية، فكل شاعر من الشعراء له وجهة نظره الخاصة في رسم استعاراته وربطها بما هو مناسب لها، وكل هذا معتمد على ثقافة ونفسية كل شاعر.

كما تجدر الإشارة إلى موسيقى الشعر بأنّها تدلّ على أبعاد دلالية وليس فقط على الأوزان " فقد ظلّ أثر الموسيقى الجاهلية هو السائد في كل العصور حتى بعدما أصبحت الأمية أو ما يشبه

[1] – سلامة ، يسري: الحكمة في شعر المتنبي، المرجع السابق، ص 23.

الأمية بعيدة عن المملكة العربية وذلك لأنّ الأدباء في كل العصور، اتخذوا من النماذج القديمة أنموذجاً يلنمسون منه الإلهام والوحي أي جعلوا النماذج القديمة قاعدة يستندون عليها "[1].

[1] – ينظر : الصراف، ورود وليد محمود حسين، أشعار الحكمة في ديوان الحماسة لأبي تمام، مرجع سابق، ص؛ 149.

الفصل الثالث

المبحث الأول: مصادر الحكم في شعر المتنّبي ومظاهر البعد العقلي فيها.

❁ مصادر الحكمة عند المتنبي:

حظي المتنّبي بشهرة لم يحظ بها غيره من قبل، حيث " تكاد تتّفق كلمة كثير من النقاد، على أنّ "أبا الطيب " من أبرع الشعراء في الاهتداء إلى الحكمة"[1]؛ فالمتأمّل في شعره يدرك دون عناء كبير أنّما حكمته؛ "حكمة الخبرة والتجّارب والفطنة المقرونة بالطموح إلى الآمال السامية، وهو ذلك الطموح الذي كان من مظاهر الاعتداد بالنفس عند المتنّبي"[2]؛ فهو الشاعر العظيم " الذي استطاع أن يحمل أعقد الرؤى وأخصب التّجارب، وظلّت الحكمة في شعره حارة متوّهجة قادرة التجاوز والامتداد خارج حدود زمنها ومكانها"[3]؛ والمتّتبع لمصادر الحكمة في شعره يدرك أنّه يستقي من مصدرين أساسين هما: مصادر أصلية وأخرى أجنبية.

المصادر الأصلية: لعل أوّل مصدر من مصادره هو موهبته الفطرية، حيث أنّه برع في تنظيم الشعر منذ نعومة أظافره ونمّاها بكثرة أسفاره وتجاربه، واختلاطه مع غيره من الناس في عصره.

كما نجد أنّه تأثّر بالبيئة التي نشأ فيها، حيث أنّها من أولى مصادر ثقافته، كما كان كثير الترحال، وهذا ما ساعده على اختلاطه مع غيره من الناس في عصره؛ ولعلنا نستطيع أن نلخص مصادره الأصلية فيما يلي :

---

[1] – شعيب، محمد عبد الرحمان: المتنّبي بين ناقديه في القديم والحديث، دار المعارف، مصر، د.ط، 1964م، ص؛ 125.

[2] – شكري، عبد الرحمان: دراسات في الشعر العربي، تح : محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1 1994م ص؛ 68.

[3] – ربيع، محمد أحمد: دراسات وأبحاث في الأدب العربي، مؤسسة الوراق، ط1، 2011م، ص؛ 15.

* **تأثّره بالقرآن الكريم والحديث الشريف:**

حيث نجد أنّ المتنبي " تأثر بالقرآن الكريم في نسج حكمه ومن ذلك قوله:

وَجُرْمٌ جَرَهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ *** وَحَلَّ بِغَيْرِهِ جَارِمِه العَذَابُ.

فعلى الرغم من المتنبي لم يقرأ القرآن تعبّداً فلا بدّ أن يكون قد قرأ للتعلم والنظر فيه، فالبيت السابق مقتبس من قوله تعالى :﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ سورة الأنفال؛ الآية : ٢٥"[1].

كما نجده تأثر أيضاً بأحاديث النبوية الشريفة، حيث يقول :"

خُذُوا مَا آتَاكُم بِهِ وَاعْذِرُوا *** فَإِنَّ الغَنِيمَة فِي العَاجِلِ

مَأْخُوذْ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ الكَرِيم صلى الله عليه وسلّم:" خَيْرُ البَرِّ عَاجِلُه".

* **تأثره بالشعراء المسلمين وثقافته بهم** : إنّ المتنّبي مشهود له بسعة ثقافته، وسعة إطلاعه على اللغة العربية وآدابها، ينهل من كل عين يمرّ بها إذ أنّ معظم من قرأ عن المتنّبي يورد أي مصدر لثقافته؛ حيث أنّنا " لا نكاد نلتمس من تراجمهم قبساً يهدينا إلى منابع العربية التي امتاح منها الشاعر وأخذ عنها هذا التمكّن القوي لناصية اللغة والأدب الذي نراه واضحاً في فنّه"[2].

[1] – السعدي، عيسى إبراهيم: المتنّبي شاعر الحكمة، دار المعتّز للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 2011م، ص؛ 40.

[2] – سلامة، يسري: الحكمة في الشعر المتنّبي، المرجع السابق، ص؛ 93.

ونجد أنّ المتنّبي كان شديد التأثر ببعض الشعراء المسلمين، منهم " أبو تمام" و"البحتري" ويذكر "بلاشير" أنّ سبب ذلك التعصّب العرقي عند المتنّبي أنّه ينتسب إلى قبيلة يمنية، كما أنّ "أبا تمام" و"البحتري" يمنيان، فنجد المتنّبي يقول :

بِذَا قَضَتِ الأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا *** مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ.

مأخوذ من قول "أبي تمام" :

مَا إِنْ تَرَى شَيْئاً لِشَيْءٍ مُحَبَّبَا *** حَتَّى تُلاَقِيهِ لِآخَرَ قَاتِلاَ.

وفضلاً عن إعجابه بهؤلاء الشعراء، إلاّ أنّه قرأ لمعظم الشعراء العربية السابقيين وهناك من اتّهمه بالسرقة منهم، ولكنّ هذه التهمة زائفة؛ حيث أنّه من المستبعد أن يكون المتنبي مغيراً على معاني السابقيين؛ فتشابه الأفكار لا يعني أنّ شاعر أخذها من شاعر آخر سابق له؛ فالمعاني الإنسانية العامّة، مثل: الحبّ والوفاء والفتوة، وغيرها التي احتفى بها "أبو الطيب" املك مشترك للإنسانية جمعاء"[1]؛ فقد كانت حكمه مجموعة من الخبرات وتجارب التي أبرز من خلالها تمسّكه بالحياة من منظور وجودي عام وآخر فردي خاص، حيث كانت حكم المتنّبي ذات أبعاد إنسانية عميقة رغم مرور قرون عليها، إلاّ أنّها تتناسب مع كل عصر.

* **تأثّره بحكم الجاهلية:** تأثر المتنبي في أسلوبه وقّوة شعره ورصانة أسلوبه وجزالة ألفاظه بالعصر الجاهلي وشعراءه وحكمائه "، حيث نجد المتنبي يستقي من أشعار الجاهليين أمثال "زهير" عندما قال "المتنّبي" :

[1] – سلامة، يسري: الحكمة في الشعر المتنبي، المرجع السابق، ص؛ 111.

وَلِلْنَفْسِ أَخْلاَقٌ تَدُلُّ عَلَى الفَتَى *** أَكَانَ سَخَاءاً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِياً

فهذا يشبه قول "زهير" من حيث المعنى، عندما قال:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ اِمْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ *** وَإِنْ خَالَهَا تُخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ.

ونجد بعض التشابه بين قول المتنّبي وقول بعض الحكماء الجاهليين، كقوله:

تُرَابُه فِي كِلَابِ كَحْلِ أَعْيُنِهَا *** وَسَبْقُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ العَذْلْ.

وهذا مأخوذ من قول " الحارب بن طالم" (سبق السبق العذل)"[1].

ونجده يتمتّع بلغة جزيلة وأسلوب راق، واللغة عنده بجانب الأدب يعدّان كذلك مصدران هامّان من مصادر حكمته "؛ فقد أدركها بفكره وصاغها أمثالاً بأبياته، فسارت في الأدب ثروة للمتأدبين ومدد للمتمثلين"[2].

المصادر الأجنبية: إنّ المصادر الأصلية التي جعلت المتنبي شاعراً حكيماً بالفعل ساندها المصادر الأجنبية؛ حيث أنّ العصر الذي عاش فيه المتنبي وقع فيه الامتزاج للثقافات والعلوم المخيلّة مع الثقافة العربية الإسلامية " والمتمّعن في حكم المتنّبي يجده متأثراً بشكل ملحوظ بالعلوم الأجنبية، فنجد أنّه تأثر بـ :" أرسطو" في قوله :

فَطَعْمُ المَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِير ***كَطَعْمِ المَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيم.

[1] – السعدي، عيسى إبراهيم: المتنبي شاعر الحكمة، المرجع السابق، ص؛ 39.

[2] – عزام، عبد الوهاب: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، شركة النوابغ الفكر المصر، ط1، 2013م، ص؛ 379.

فمعنى البيت يشبه قول "أرسطو" : حلول الموت في عظم الموت كحلوله في صغيره؛ فالمعنى العام يمكن أن يطرقه أي فرد من البشر "[1]؛ وقد درس المتنّبي اليونانية وبعض الحكم الهندية والفارسية عن طريق التراجم، وقد شاعت في عصره الفلسفة وازدهرت، فكان لها أن اتبعت منذ هذا العصر مع العلوم العقلية أخرى منهجاً علمياً، وقد كان رجلاً عصامياً في التحصيل العلمي، كما قال "طه حسين" " أنّه نشأ في غير مدرسة وتعلم من غيره ولم بأخذ ثقافته وأدبه عن الأساتذة والنقاد، وإنّما أخذها عن الكتب والصحف"[2].

والمتمعّن في بعض حكم المتنّبي، يدرك لا محال تأثره بالفكر الفلسفي اليوناني، فهو نموذج المثقف العربي الذي استطاع أن يستفيد من الحكم اليونانية، كما أنّه وظّف حكم الفرس وآدابهم في حين أنّ حكمهم عالجت مسائل وقضايا كثيرة ومعقدّة منها الحلم والشجاعة والجهل والحسد والهوى والصداقة وغيرها من المواضيع، ونجد أنّ المتنّبي تناول منها ما يوافق مزاجه وفكره بالتعديل أو بالإثراء وقد صاغها في قالب من التعبير الأدبي يمتلكه"[3].

كما نجد أنّ العرب اهتموا كثيراً بالحكم الهنود، حيث أنّها كانت توافق مزاجهم العقلي.

ومن كل ما سبق يمكن القول أنّ ثمة عدّة مصادر منها : داخلية ذاتية، ومنها أجنبية ساعدت في بناء ثقافة المتنبي وجعلته حكيم الشعراء" ولكن الرأي الصحيح، أنّ حكم المتنّبي تنبعث من شاعريته شأنها شأن كل فلسفة تنطق من قريحة شاعر، وليست نظرات الفلسفية التي يرسلها "أبو

[1] – ينظر: السعدي، عيسى إبراهيم: المتنبي الشعر الحكمة، المرجع السابق، ص؛ 38.

[2] – حسين، طه: مع المتنبي، دار المعارف، ط13، د.ت، ص؛ 113.

[3] – شلوف، حسين: شعر الحكمة عند المتنبي، المرجع السابق، ص؛ 105.

الطيب" على سجيّته في قصائده سوى إدارك منه، لحقيقة ما يشعر به والتقاط ذهني الواقع الإحساس بما يجري في أحشاء المستقبل"[1].

❖ مظاهر البعد العقلي في الشعر الحكم عند المتـــنّـبي:

" من الطبيعي أن ترخي الأحداث العصر العباسي بظلّها عن الشعراء والمفكرين والعلماء، ممّا أتاح للشعر، كما لغيره أن يتطّور وتتبدل أحواله تأثراً بالمتغيرات العصر وتبدلاته"[2].

والحكمة كما قلنا سابقاً " فن من فنون الشعر العربي كنا نلتقيه مبعثراً في قصائد العصر الجاهلي، ثمّ نما حتى أصبح مستقلاً تنّظم فيه القصائد الطوال"[3]؛ ولقد اهتمّ العرب اهتماماً بالغاً بدراستها وتعلّمها بعد ظهور الإسلام ودعوته إلى الأخذ إلى بمبادئ العقل والنظر السليم في الأمور.

وإنّ الحركة العقلية التي شملت مجلات نشاط الفكري، مسّت مختلف المظاهر الحياة العقلية ومنها الشعر، فتأثّر الشعراء بهذه النزعة العقلية وتأثرهم لم يكن في مستوى واحد، بل كانوا متفاوتين ويختلف هذا التفاوت أو التباين من شعر إلى آخر.

وإنّ العقل بصفته الخاصة المميّزة للإنسان، هو مصدر الحكم الصحيح على الأشياء وهو من النعم التي خصّ الله بها الإنسان، وينمو ويتطوّر بالخبرة والتجربة، وكان المتنّبي من صنف الناس الذين خبروا الحياة فذاقوا مرّها وحلوها وعرفوا فيها السرور والحبور، إلى جانب الحزن والشجن؛ فقد كان

[1] – شرارة، عبد اللطيف: أبو الطيب المتنبي دراسة مختارات، الشركة العالمية للكتاب، ط1، 1988م، ص؛ 54.

[2] – ينظر: معوض، سليمان: مدخل إلى الأدب العربي، المرجع السابق، ص؛ 205.

[3] – محمد، سراج الدين: الحكمة في الشعر العربي، المرجع السابق، ص؛ 05.

طبيعياً أن يدرك قيمة العقل في الحياة، ولعلّ هذا الإدراك هو الذي جعل شعره يحفل بضروب من الحكم التي هي صدى العقل " وذلك بالنظر إلى اهتمامه الشديد بالثقافات المعاصرة له، فدرس التراث العربي دراسة متأنّية فاهمة، وأكبّ على كتب الأدب واللغة، يلتهمها التهاما في مكاتب الوراقين، ودوام من مصاحب العلماء والفقهاء والأدباء، فاكتسب منهم حسن منطق وسعة الإدراك واحترام نفس"[1].

وعرف "أبو الطيب" طريقه إلى الفلسفة اليونانية التي كانت ملكا شائعا للمثقفين العرب حين ذاك وواتته الظروف فاتصل بالمعلم الثاني "أبي نصر الفرابي" في بلاط سيف الدولة الحمداني بحلب، فأخذ عنه الثقافة اليونانية في منابعها الأصلية، وأثرت هذه الثقافة الفلسفية في طريقة صياغته لحكمته القائمة على الترتيب واستخلاص النتيجة من المقدمات، وهو ما أطلق عليه إسم القياس المنطقي في شعره".

و من ثم احتل العقل في حياة المتنبي مكانة خاصة، حيث أعلى من شأنه ورفع من فضله إلى حد أنه كان يأمن بأن الإنسان بدون عقل فاقد لصفة إنسانيته:

يقول:

لَوْلَا الْعُقُولَ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٌ*** أَدْنَى إِلَى شَرَفِ مِنْ الإِنْسَان.

لَمَا تَفَاضَلَتْ النُفُوسُ وَدَبَّرَت *** أَيْدِي الكُمَاة عَوَالِي المرَان.

[1] – سلامة، يسري : الحكمة في الشعر المتنبي، المرجع السابق، ص؛ 284.

فالمفاضلة بين الإنسان والحيوان، إنّما تكمن في العقل الذي ينفرد به الإنسان، ثم إنّ التمييز بين الناس يكون وفق قدراتهم العقلية وهذا التفاوت في القدرات، يظهر في المصنوعات الناتجة عن العقل، وإذا كان الإنسان قد اختّص بهذه الملكة دون غيره من سائر المخلوقات، تصبح المحافظة على عليه مطلباً أساسياً، يقول المتنبي :

وَأَنْفَسُ مَا لِلْفَتَى لُبُّه *** وَذُو اللُّبِ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ.

و المحافظة على العقل تقتضي من الانسان أن يصونه مما يؤذيه و يحط من منزلته مثل مجادلة الجهال، و المحافظة عليه ذات شأن و إعتبار إلى حد أن الجسم يهون أمام العقل في سبيل سلامته يقول:

"يُهَوِّنُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومَنَا *** وَتُسَلِّمَ أَعْرَاضَ لَنَا وَعُقُولَ"[1].

و إن الحب الذي يكون مقرون بالعقل مرتّباً به،يثبت له الصلاح والفلاح بين ما إذا ابتعد وحلّ بدله الجهل كان مآله الفشل والفساد، يقول :

فَإِنَّ قَلِيلَ الحُبِ بِالْعَقْلِ صَالِحِ *** وَإِنَّ كَثِير الحُبِ بِالْجَهْلِ فَاسِد.

وإذن فلا بديل للعقل في إقرار صواب الأمور وسدادها، ويصل إيمان الشاعر بالعقل إلى حدّ يجعل منه القوة الضاربة في تحقيق أصعب الأعمال :

وَلَابُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةِ *** وَرَأْيُ يُصَدّعِ صُمُّ الصَّفَا.

[1] – عوض، إبراهيم: المتنّبي دراسة جديدة حياته الشخصية، دار الكتاب، د.ط، 1986م، ص؛ 24.

وأمّا فيما يخص العلاقة القائمة بين الهوى والعقل؛ فالمتنّبي لا يرى صلة بينهما، بحيث إذا حضر أحدهما غاب الآخر.يقول:

وَمَاهِيَ إِلاَّ لَحْظَةً بَعْدَ لَحْظَةً *** إِذَا نَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ رَحَل الْعَقْلُ.

" والدنيا في نظر المتنّبي عدوة الأحرار، يرفع الحظ الأخساء اللئام ويحطّ من شأن الكرام، فيها يتنّعم الجاهل ويشقى العاقل، وقد عبّر عن هذا المعنى أروع تعبير"[1].

يقول :

ذُو العَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ *** وَأَخُوا الجَهَالَةِ فِي الشَقَاوَةِ يَنْعَمُ.

"فالعقل أصبح شبه نظرية للشقاء والعناء الذي يكابده العاقل، إذا ما تأمّل في أمور الدنيا وخداع النّاس ولهثهم وراء ماديات الحياة وعدم إكتراثهم بالمبادئ الخُلُقية السليمة؛ بينما الجاهل لا يبالي بشيء من ذلك فيعيش في سعادة تشبه سعادة الأنعام التي ترعى الحشائش وتأكلها في تلذّذ حتى ولو كانت ثابتة بين أشلاء وجثث أنعام مثلها"[2].

ومن خلال الاستعراض لهذا القسم من حكم المتنّبي، يتبيّن لنا أنّ الشاعر كان يحرص دوماً على بسط عقله على المعاني التي ترّد في نظم حكمه، وكان في غالب الأحيان يربط بناء معاني هذه الحكم بصوغ فني يدفع المتلقي إلى الإقناع بمفاد الحكمة، غير أنّ هذا الصوغ الفني لم يكن دائماً

[1] – معتوق، جورج عبدو: المتنّبي شاعر الشخصية القوية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط3، 1985م، ص؛ 216.

[2] – حسن المحامي، محمد تامل : المتنبي، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985م، د.ط، ص؛ 24.

موجوداً ومهما يكن من أمر؛ فإنّ البعد العقلي، بما يتوافر عليه من ضروب الإقناع هو الميزة التي جعلت المتنّبي يتفوق على غيره في هذا الضرب من الشعر.

المبحث الثاني: خصائص حكم المتنّبي وموضوعاتها.

❁ **خصائص حكم المتنّبي:** إنّ المتمّعن في قراءة شعر المتنّبي عامّة وفي حكمه خاصة، يدرك أنّ الشاعر ينفرد بعدّة خصائص عن غيره، حيث أنّه يتمكّن بلغته من إخراج ما يختلج ذاته ومغامراته مع الواقع والحياة ويضفي عليهما ذوقه وأحاسيسه ويهذّبها.

وقد لاحظ الدكتور" طه حسين"، حينما رأى المتنّبي يجري في قصيدته روحاً عذباً غريباً، ليس من اليسر وصفه ولا تصويره؛ ولكنّك تحسّه إحساساً قوياً .....والغريب أنّ هذا الروح العذب الخفيف يحتفظ بعذوبته وخفته في القصيدة، ولكنّه مع ذلك يتّخذ أشكالاً، وإن شئت فقل يتّخذ ألواناً مختلفة بتباين المعاني والموضوعات التي يطرقها الشاعر"[1]؛ فالمتنّبي دقيق في صوغ حكمه وألفاظه وعباراته حريصاً على وضعها في المكان المناسب لها.

ويمكن أن نوجز خصائص حكم المتنّبي فيما يلي :

ꕥ**عمق الإستجلاء وصفاء التمثيل ودقّة الإشارة،** حيث ينفذ الشاعر بنظراته إلى أعماق النفس الإنسانية، وهو يبرع في تعبيره إيجازاً وتمثيلاً ودقّة وإشارة، يقول :

ذُلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَلِيلَ يَعِيشُ *** رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحَمَام.

كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اِقْتِدَار *** حُجَّةٌ لَاجِىءٌ إِلَيْهَا اللِئَام.

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلُ الهَوَانَ عَلَيْهِ *** مَالِجُرْحٍ بِمَيِّت إِيلَامُ"[2].

[1] – حسين، طه: مع المتنّبي، المرجع السابق، ص؛ 235.

[2] – حطيط، كاظم: أعلام ورواد في الأدب العربي، المرجع السابق، ص؛ 155.

فالمتنّبي ليس فنّاناً فحسب وَفَّقَ بين الشعر والفلسفة وجعل أكثر عنايته بالمعنى، بل مجدّداً أطلق الشعر من القيوّد التي قيّده بها "أبو تمام" وشيعته، وخرج به عن أساليب المخصوصة فهو زعيم الطريقة الإبتداعية في الشعر العربي"[1].

- **تجريبية النظرة وطلاوة الأداء**؛ فالحكمة عنده " لم تكن كما اعتقد البعض زخرفاً يرصع بها شعره.... فشعر المتنّبي عالم من تصوّر وانفعال وفكر ومن السخف اعتبار الحكمة عنده ضرباً من التمويه والقناع، كما اعتقد الآخرون فهي نتيجة تجربته الذاتية والبطولية"[2].

فنجد في أبياته جلاء وطلاوة صافية، مثل قوله :

أَفَاضِلَ النَّاسِ أَغْرَاضُ لِذَا الزَمَنُ *** يَخْلُو مِنَ الهَمِّ أَخْلَاهُم مِنَ الفِطَنِ.

- **موضوعية الرؤية وأحكام البناء وحسن سياقه**؛ وتتّضح موضوعيته المتنّبي في سلامة رؤيته لواقعية العلاقات بين الناس؛ وهو يحكم بناءه ويحسن سياقه، بحيث أنّ هناك نوع من التنسيق والانسجام الذي يخدم البناء والتجربة الشعرية مثل قوله :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَه *** وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا.

- **الإعتدال الواقعي وإعادة التمثيل والتصوير**؛ المتنّبي " يؤدي المعاني في لفظ رشيق ليس فيه التصريح المؤذي ولا التعريض المريب، وإنّما الحديث يملؤه الصفو والطهر

[1] – بلاشير، ريجيس: أبو الطيب المتنّبي دراسة في التاريخ الأدبي، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، د.ط، 1987م، ص؛ 155.

[2] – مغنوق، جورج عبدو: المتنّبي شاعر الحكمة والشخصية القوّية، المرجع السابق، ص؛ 210.

والبراءة"[1]؛ كما أنّه يعدّل من موقفه من القدر، فهو يلغي قدرة الإنسان ومسؤوليته ويصدّق في البيان ويجيد في التمثيل والتصوير مثل قوله :

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى المَرْءُ يُدْرِكِهُ *** تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُن.

الوصولية وفصاحة الإيجاز؛ " ينفلت المتنّبي في إطلاق تعاليه، وتتحتّم الوصولية عنده ويتناسى ما وصل إليه من قبل في فخره، أو كأنّ العزّة تقبل الإنتقال أو التعديل أو أنّ الحرية تخضع لميزات المصالح والظروف، وهو يفصح في إيجازه ولا يدّقق في أدائه"[2].

يقول:

وَمَنْ نَكَدَ الدُّنْيَا عَلَى الحَرِّ أَنْ يَرَى *** عَدُواً مَا لَهُ مَنْ صَدَاقَتِهِ بُدُ.

سدادة النظر وإجادة الإيصال؛ " اعتاد العرب على أن يرسلوا حكمهم إرسالاً من غير تعليل أو بيان للأسلوب، إذ يكتفي أن يقف الحكيم ليلقي بين النّاس حكمه من دون تعليل، ولكن الأمر اختلف في حكم العصر العباسي وآدابه؛ فالكاتب يدلي بحكمه وآرائه معلّلاً لما يقول ومطيلاً في بيان محاسنه"[3]؛ وتوضيح وجهة نظره والطموح دائماً إلى الأسمى، فنجده يطلق مقولته البصيرة في أعباء الطموح ونتائجه، فيبدع في انطلاق إيصاله وصفاته، حيث يقول :

إِذَا كَانَ النُّفُوسُ كِبَارِ *** تَعِبَتْ مِنْ مُرُادِهَا الأَجْسَامُ.

[1] – حسين، طه: مع المتنّبي، المرجع السابق، ص؛ 222.

[2] – حطيط، كاظم: أعلام ورواد في الأدب الأ'ربي، المرجع السابق، ص؛ 156.

[3] – الحامد، تامر سليمان: تأثر الأدب العربي بالآداب الأخرى، المرجع السابق، ص؛ 11.

عملية الإستجلاء ودقّة التبيّن؛ حيث أنّ الشاعر يحاول استشفاف لسان صاحبه وروحه العلمي، فيسعى لأن يتقدّم ويستقيم في استنتاجه ويكون دقيق في تبيينه، فيقول :

إِذَا سَاءَ فِعْلُ المَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُه *** وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُ مَنْ تَوَّهَمَ.

صدق التجلّي وشمولية الإبانة؛ " بحيث أنّ "أبا الطيب" كان يدرك ما للصدق من أهمية فيستحسنه ويبيّن ويحسن المطابقة في التعبير فينساق في البناء ويسرف في التبيين.

وَمِنْ سِرِّ أَهْلِ الأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى *** بَكَى بِعُيُونِ سِرِّهَا وَقُلُوب"[1]

ويمكن أن نقسّم شعر الحكمة عنده على عدّة مراحل:

- **المرحلة الأولى:** في صباه؛ وتميّزت حكمه في هذه الفترة بالتكلّف والمبالغات وكثرة المحسّنات البديعية.
- **المرحلة الثانية:** وجود في الشام؛ واتّسمت حكمه فيها بالتنويع، وبدأ في التفكير الفلسفي وذلك باتصاله بالعلماء، واطلاّعه على كثير من الكتب.
- **المرحلة التالية:** وجوده في مصر؛ وهنا بدأت تبرز الخواطر والحكم بوضوح في إنتاجه مهيّئة عهد نضوجه التعبيري.

[1] – حطيط، كاظم: أعلام ورواد في الأدب العربي، المرجع السابق، ص؛ 157.

❁ **المرحلة الرابعة:** وتميّزت هذه المرحلة بالثروة النفسية اليائسة ممّا جعل أسلوبه يتردّى إلى الضعف"[1].

وممّا سبق، يمكن القول أنّ حكم المتنّبي حظيت بنضج التجربة وعمق الرؤية، وهي تتفاوت في مدى الحقيقة والواقع، فاتّسعت آفاق بعضها وضاق مجال البعض الآخر.

✍ **موضوعات شعر الحكم عند المتنّبي:**

" الحكمة في تاريخ الأدب العربي، لم تتّصل ذلك الاتّصال الوثيق بالجوّ الشعري كاتصالها عند المتنّبي، فحتّى في الشعر الجاهلي لم يتحّق هذا الإنصهار بين الفكر والشعور إلاّ بأبيات نادرة عند قلّة من الشعراء كطرفة، في حين أنّها لم تخلّ من جفاف وسطحية وملاحظات عادية قريبة عند "زهير بن أبي سلمى"[2].

حمل المتنّبي منذ صباه همّا إنسانياً كبيراً أو تقمّص شخصية البطل المنقذ الثائر على الواقع، فكان شعره ينطق دفعة واحدة بلسان ذاته وبلسان الإنسان المثالي الذي يتجسّده، ويريد تحقيقه، فكان شاعراً ذاتياً وقومياً حكيماً في الآن ذاته.

[1] – عبد الله، عبد الوهاب آدم أحمد: موضوعات الحكمة في لاميات وميميات المتنّبي، إشراف آسيا واعة الله محمد، الخرطوم، جامعة، السودان، 2016م، ص؛ 42.

[2] – ينظر: معتوق، جورج عبدو: المتنّبي شاعر الشخصية القوّية، المرجع السابق، ص؛ 210.

" وكانت حكمته تحمل طابعه وتصدّق صورة عنه في مختلف مراحل فكره وانطلاقات مشاعره، ويسطع فيها نبوغه، وأنّه يستجلي عبرها أسراراً في عالم الإنسان والحياة، وتشع في سبل شتى متأبية في غير قليل منها على التلاشي والنفاذ"[1].

ومن بين مواضيع شعر الحكم عند المتنّبي:

❁ **الحياة والموت:**

1. **الحياة:** وتعدّ من الموضوعات التي أفرد لها المتنّبي جانباً كبيراً من أشعاره تربط ذلك بالإنسان المتعلّق بهذه الحياة، يقول :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرَجٌ سَابِحٌ *** وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَاب.

لِمَنْ تَطْلُبُ الدُنْيَا إِذَا لَمَ تَرِدُ بِهَا *** سُرُورٌ مُحِبٌ أَوْ إِسَاءَةٌ مُجْرِم.

وَمَا مُتَنَزَّلِ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلِ *** إِذَا لَمْ أُبَجِّلْ عِنْدَهُ وَأْكَرَم.

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلاً تَقَلَّبَتْ *** عَلَى عَيْنِهِ حَتَى يَرَى صِدْقُهَا كَذِباً.

في **البيت الأول:** " أَعَزُّ مَكَانٍ...

تحدّث المتنّبي عن أعزّ مكان في هذه الحياة الدّنيا، ألا وهو سرج سابح، ولعلّه أراد الخيل والفروسية والرياضة على اختلاف أنواعها.

وفي **البيت الثاني:** " لِمَنْ تَطْلُبُ الدُنْيَا ..

[1] – ينظر: حطيظ، كاظم: أعلام ورواد في الأدب العربي، المرجع السابق، ص؛ 152.

أدرك المتنّبي أنّ للإنسان وظيفة، يجب أن يؤديها على أكمل وجه، وألاّ يعيش إنساناً متطفّلاً يرضى برذائل الأشياء، ويمدح نفسه رافعاً من قدرها مختاراً خير الصحبة مع الدنيا، ليزداد تمرّساً بها وتعلّقاً بصفاتها وأحوالها وتقلّب الدنيا على العينين لما يمرّ بهما من صور مختلفة، وحالات متباينة ومظاهر متعدّدة لهذه الحياة"[1].

ولقد كان المتنّبي طموحاً، وأراد للإنسان أن يكون كذلك ليصل لما يصبو إليه من راحة وسعادة وخير يقول مفتخراً بنفسه:

" أَنَا السَابِقُ الهَادِي إِلَى مَا أَقُولُهُ *** إِذَا الْقَوْلِ قَبْلَ القَائِلِينَ مَقُولُ"[2].

2. **الموت**: ينظر "أبو الطيب" إلى الدنيا نظرة زاهدة، ويرى أنّ فراقها ليس بالأمر الذي يحزن لأنّ ما فيها لا يجذب النفس إلاّ البقاء بصحبتها، ويدعو إلى الإعراض عنها وقلّة الأسف عليها.

نَبْكِي مَوْتَانَا عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ *** تَفُوتُ مِنْ الدُّنْيَا وَلَاَ مَوْهِبِ جَزَل.

إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرْفِهِ *** يَتَقَنَّتُ أَنَّ المِوْتَ ضَرْبٌ مِنَ القَتْل.

ويقول أيضاً :

"كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى المِوْتَ شَافِياً *** وَحَسْبَ الَمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِياً"[3].

[1] – ينظر: السعدي، عيسى إبراهيم: أبو الطيب المتنّبي، المرجع السابق، ص؛ 78.

[2] – البرقوقي، عبد الرحمان: شرح ديوان المتنّبي، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2004م، ص؛ 126.

[3] – البرقوقي، عبد الرحمان: شرح ديوان المتنّبي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2004م، ص؛ 33.

ويقول أيضاً :

" وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الدَفَيْنِ حَبِيبُه *** حَبِيبَ إِلَى قَلْبِي حَبِيبَ حَبِيبِي.

وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ قَبْلِنَا *** وَأَعْيَا دَوَاءُ المَوْتُ كُلَّ طَبِيب"[1].

۞ أخلاق الكرام:

" تحدّث المتنّبي عن الجانب الخلقي في حياة الإنسان، هذا الجانب الذي يكتسبه الإنسان من عدّة مصادر وعلى رأسها الدّين؛ لما فيه من توجيه لإنسان، وحثّ على الفضيلة وترك للرذيلة، كما يكتسب الإنسان هذه الأخلاق بحكم معاشرته واختلاطه بالنّاس لاسيّما من ذوي الخلق الكريم وتتجلّى مظاهر الأخلاق بالممارسات الحقيقية والأفعال التي يكون من شأنها أن ترفع قدر صاحبها وتزيينه في عيون الآخرين وقلوبهم لما يتمتّع به من سلوك حسن وخلق كريم.

يقول " المتنّبي" موضّحاً مفهوم الخلق:

وَمَا الحُسْنِ فِي وَجْهِ الفَتَى شَرَفْ لَهُ *** إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالخَلاَئِق.

فيرى "المتنّبي" عدم اعتماد المظهر الخارجي في إعطاء الصورة الحقيقية للجمال، وإنّما يجب الإعتماد على الجوهر؛ والمتمثّل في الفعل الحميد والخلق الرشيد"[2].

والأخلاق الفاضلة من شجاعة وكرم وتفان في الحرب ليست وافداً غريباً على النفس البشرية بل هي طبيعة الإنسان الذي يؤمن بهذه الفضائل ولا يحيد عنها لأنّها من طبعه:

[1] – البرقوقي، عبد الرحمان: شرح ديوان المتنّبي، المصدر السابق، ص؛ 114.

[2] – ينظر: السعدي، عيسى إبراهيم: أبو الطيب المتنّبي شاعر الحكمة، المرجع السابق، ص؛ 80.

وكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى *** وَلَكِنْ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِد.

" كما يصدر "أبو الطيب المتنّبي" في نظرته إلى الطبع والتطّبع عن معاناة نفسه خاصة، فهو لم يستطع أن يحيد عن طبعه طوال حياته، فظلّ معتزّاً بنفسه، فخوراً بشعره، تياهاً بآرائه برغم ما اكتنفى حياته من صعاب كانت كفيلة بتحطيم عزيمته ولكنّه ظلّ كما هو لم يتغيّر، إذ كان طبعه الجلد والصبر وطول البال"[1].

فيرى أنّ الطبع هو الذي يقود الإنسان في تصرّفاته، وأنّه من الخيّر ألا يرتدي الفرد رداء التكلّف وأن لا يحاول الظهور بمظهر يختلف عن مظهره وإلاّ عرض نفسه للزلل.

۞ الحلم والعفو:

ليست نظرات "أبي الطيب" في الحلم والعفو جديدة على أهلها زمانه فهي ترداد لأقوال المأثورة والحكم الموروثة والأخلاقيات التي دعت إليها الكتب الدينية، إذ أنّ إطلاعه الغزير على فلسفات عصره وخبرته الواسعة بنفوس النّاس بخيرهم وشرّهم، هدته إلى موقف معيّن يتسّم بالاتّساق والانسجام، فلا تناقض عنده في هذا الباب، لأنّه لا يستطيع أن يعطي المحسن جزاءه والمسيء إساءته.

وَمَا قَبْلَ الأَحْرَارَ كَالعَفْوَ عَنْهُم *** وَمَنْ لَكَ بِالحُرِّ الَذِي يَحْفَظُ اليَدَا.

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَه *** وَإِنْ كُنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا.

[1] – سلامة، يسري: الحكمة في شعر المتنّبي، المرجع السابق، ص؛ 155.

فمن عفا عن حرّ يكون كأنّه قتله، لأنّه يأسره بهذا الفضل ويقابل إساءته بكرم عفوه، وسماحة أخلاقه، والعفو عند المتنّبي، يجب أن يكون عن قدرة لا عن جبن، والإنسان الذي يعفو وفي يده السيف يستحقّ من "أبي الطيب" التكريم، يقول :

رَأَيْتُ مَحْضَ الحُلْمِ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ *** وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الحُلْمُ مِنْكَ المهَنَدَا.

ويقول أيضاً :

" وَالنَّفْسُ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الفَتَى *** أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِياً "[1].

وبذلك فقد عبّر "أبو الطيب المتنّبي" تعبيراً صادقاً عن الميراث الأخلاقي الذي كان ملكاً لكل أدباء العصر، والذي صداه واضح في وجدان الشعب العربي حينذاك.

۞ الصداقة والصديق:

" يرى "المتنّبي" حاجة الإنسان الماسة إلى الصداقة والصديق، وذلك لأنّ الإنسان عضو في هذه الخلية الإجتماعية، فحاجة المرء نفسية واجتماعية، قبل أن تكون نفعية تتعلّق بالمادة والمصلحة الشخصية"[2].

[1] – البرقوقي، عبد الرحمان: شرح ديوان المتنّبي، ج2، المصدر السابق، ص؛ 503.

[2] – السعدي، عيسى إبراهيم: أبو الطيب المتنّبي شاعر الحكمة، المرجع السابق، ص؛ 85.

يقول "المتنّبي" في معرض معاتبته لسيف الدولة:

" شَرُّ البِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ *** وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الإِنْسَانَ مَا يَصِمُ"[1].

وما يدرى "أبو الطيب" كيف يختار الأصدقاء، وقد ندرت الصداقة الحقة ندرة الذهب والمعادن النفيسة.

وَمَا الخَيْلُ إِلاَّ كَالصَدِيقِ قَلِيلَةٌ *** وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنِ مَنْ لَا يُجَرِّب.

فالصديق الحق هو الذي عند الشدّائد، وقد قيل :" لا يعرف الأخ إلاّ عند الحاجة" والصداقة الحقيقية هي التي تصهرها الشدائد والمحن، وتظهر ما فيها من زيف وخداع، و"أبو الطيب" لا يرجو من صديقه أكثر من الودّ الصادق الذي يشعره بدفء الأخوة وصدقها، ويحتوي نفسه الكبيرة بالعطف والحب.

۞ المرأة والوطن:

❁ **المرأة:** لم يعرف عن "أبي الطيب" أنّه كان محباً للنساء؛ فطبيعته كانت تناقض مع طبيعة العاشقين، فليس فيها ذل المحبين واستعطافهم.

وهو إنسان حكيم يكره التزيّن والتكلّف الذي يحظى ما وراءه من طبيعة قد تكون غير جميلة، والمرأة لا تستطيع في نظره العيش دون الرياء والزينة التي تعدّ من لوازم حياتها؛ " فكان "أبو

[1] – محمد، سراج الدين: الحكمة في الشعر العربي، المرجع السابق، ص؛ 20.

الطيب" يفضل الأعرابيات اللاتي لم يعرفن مضع الكلام ولا صبع الحواجب، لأنّه يقدّم الطبع على التطبّع.

ويرى أنّ اللاتي يعيشن بعيداً عن حضارة المدينة لم يتعلمّن التصنّع والزيف"[1]؛ فيقول :

مَا أَوْجُهُ الحَضَر المسْتَحْسَنَاتِ بِهِ *** كَأَوْجُهِ البَدْوِيَاتِ الرَعَابِيبِ.

حَسَنُ الحَضَارَة مَجْلُوبُ بِتَطْرِيَة *** وَفِي الْبَدَاوَةِ حَسَنُ غَيْرِ مَجْلُوبِ.

أَفْدَى ظِبَاءً فَلَاةً مَا عَرَفْنَ بِهَا *** مَضْغُ الكَلَامِ وَلَا صَبْغُ الحَوَاجِيبِ.

" و" أبو الطيب" الذي كشف الأستار عن بواطن النساء، وجعلهن عنصر تعويق عن المجد والسعي، وهن يمضغن الكلام ويصبغن الحواجب ويظهرن الضياء والظلام راقد في باطنهن؛ وهكذا إلى آخر تلك النظرات التشاؤمية في طبيعة المرأة التي استقاها "أبو الطيب" من طبيعة العصر، ومن ظلم الحياة الإجتماعية الذي كان واقعاً على الرجل والمرأة على حدّ السواء، ولكن المرأة حملت العبء الأكبر من هذا الظلم كمخلوق ضعيف لا يملك حقّ الدفاع عن نفسه"[2].

فالمتنّبي ظلم المرأة ولم يقف معها موقف المدافع؛ فخسرت أقوى صوت كان يمكنه إزاحة ظلم القرون من وفق كاهلها.

[1] – سلامة، يسري: الحكيمة في شعر المتنّبي، المرجع السابق، ص؛ 171.

[2] – سلامة، يسري: المرجع نفسه، ص؛ الصفحة نفسها.

❁ الوطن:

حكمة "أبي الطيب" ترتبط بالأرض التي يجوبها.... فقد كانت الغربة المتّصلة بحياته سبيلاً إلى الإستزادة من خبرات تتيحها له مشاهداته الواسعة، فكانت بالنسبة له الأرض كلّها وطن للإنسان.

يقول:

وَجُبِ البِلَادَ فَأَيُّهَا *** أَرْضَاكَ فَاخْتَرْهُ وَطَن.

فكانت كل الأوطان عنده سواء، " وهذا شأن الإنسان الذي يكثر من السفر والترّحال، إذ تصبح الأرض كلّها ذات لون واحد فلا يشتاق إلى مكان ذهب عنه، يقول:

غِنَيٌّ عَنْ الأَوْطَانِ لَا يَسْتَفِزُّنِي *** إِلَى بَلَدٍ سَافَرَتْ عَنْهُ إِيَّاب.

والوطن الحقيقي الذي كان يودّه أن يخلقه، هو الذي يجد فيه بغيته والذي يعطيه بقدر ما يقدم له من جهد، هو الوطن الذي يقدّر بنيه ويعطي كل ما ساكنيه ما يوافقهم، أي الرفاهية المعقولة، وبهذا يصبح الوطن جنّة ينعم ساكنوه به، وكذلك الأهل في نظره ليسوا ذوي القرابة[1]، وإنّما أولئك الذين يخلصون الودّ ويصدقون في حبّهم نحوك، يقول:

وَمَا بَلَدُ الإِنْسَانِ غَيْرَ المُوَافِقِ *** وَلَا أَهْلُهُ الأَدْنُونَ غَيرَ الأَصَادِق

[1] – سبيتي، مصطفى: ديوان أبي الطيب المتنّبي، ج1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، ص؛ 45.

" وبذلك تدور طبيعة الحكمة عند "المتنّبي" خلال مراحل حياته عن الشرف ورفض الذل وطلب العلى والحكم الواعظة المرشدة، ولولا ما ورد في قصائد "المتنّبي" من هذه الحكم والأقوال المأثورة، لظلّ شعره مغلقاً على طبقة قليلة من القرّاء النخبة، فلو سحبنا الحكم من شعره تصبح قصائده فاقدة للحياة، وليس لها أهمية من وجهات اهتمامات البشر ومشاكلهم، وما جعلها صالحة حيّة حتى يومنا هذا انطلاقها من أعماق الشاعر، وتصريحها بصدق عن معاناته وتجربته التي وإن اختلفت الظروف فهي معاناة النّاس وتجربتهم"[1].

[1] – سبيتي، مصطفى: المصدر السابق، ص؛ 45.

المبحث الثالث: مكانة المتنّبي بين شعراء الحكم وآراء النقاد فيه.

❁ الموازنة بين شعر الحكم عند المتنّبي والشعراء الآخرون:

إنّ المتتبع لحكم "المتنّبي" يجدها تشمل على كثير من المعاني التي تقنع العقل وترضي الفكر حيث يعدّ من "أكثر الشعراء المتقدّمين بيتاً مقلّداً وأنضجهم تفكيراً وحكمةً وأبصرهم بفلسفة الحياة وأخلدهم على كرور الأجيال"[1]؛ فحكمه وليدة عقله الكبير وخبرته الواسعة بالحياة والنّاس؛ وقد كان على صلة كبيرة بالشعراء الآخرين يقرأ لهم ويستفيد من خبترهم، فيتجاوزهم في عدّة مواضيع، " على أنّه وإن كان قد أخذ من غيره من الشعراء بعض المعاني إلاّ أنّه في كثير من الأحيان، قد كساها جمالاً وصاغها في أجمل صيغة وأفاض عليها كثيراً من الروعة"[2]؛ وخصوصاً الحكمة التي شكلت ظاهرة شعرية وعلامة مضيئة مميّزة في الشعر العربي عبر العصور؛ فالمتنّبي ملأ الدنيا وشغل النّاس، واستطاع أن يثبت أقدامه وسط كوكبة من الشعراء، نظّم الحكمة فأجاد في زمانه دون أن تعقل الشعراء الآخرين اللذين ذاع صيتهم في نظم شعر الحكمة، مثال :"أبي تمام"، وكذا "الشافعي" الذي " كونّت عنده ظاهرة جمالية عكست ملامح شخصيته المتواضعة وتجربته الإنسانية ورجاحة عقله ونفسيته الطيّبة ورؤيته لكل مظاهر الحياة بمنظار المسلم الحكيم الذي امتلك الأدوات الفنيّة القويّة في شعره"[3].

وكذا "المعري" الذي كان يرى الحياة سقماً وداء ينتظر وداعها والتخلّي عنها

[1] – البستاني، بطرس: أدباء العرب في العصر العباسيةن دار ماروت عيود، د.ط، 1979م، ص؛ 362.

[2] – العميدي، أبي سعد محمد بن أحمد: الإبانة عن سرقات المتنّبي، تح : إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف، مصر، د.ط، 1961م، ص؛ 08.

[3] – أبو بشير، بسام علي: الحكمة في شعر الإمام الشافعي، دراسة فنية، جامعة الأقصى غزة، مؤتمر الإمام الشافعي، ص؛ 13.

يقول :

تَعَبَ كُلُّهَا الحَيَاةُ فَمَا عَجِبْتُ *** إلاَّ مَنْ رَاغِبَ فِي اِزْدِيَادِ.

عكسه "المتنّبي" الذي يحثّ على الجهد المتواصل إلى بلوغ غاياته وعدم الرضا باليسير منها أو وسيط الأمور، فرغم المتاعب التي تعرّضته فيها إلاّ أنّ نظرتة إليها كانت هجومية.

أمّا عن "أبي تمام"، " فهو شاعر الحكمة في عصره بلا منازع سئل "المتنّبي" عن نفسه وعن "أبي تمام" و"البحتري"، فقال : أنا و"أبو تمام" حكيمان والشاعر "البحتري" فهو شاعر ذو منطق يعطي كل من اللفظ والمعنى حقّه وفي موضعه لتأليف المعاني والحكمة عنده أقرب إلى الحقائق منها إلى الشعر، تتألّف مع صور ذهنية تقوم على التعليل المنطقي، من خلال مشاهداته وملاحظاته في رصد الواقع"[1].

كما نجد "زهير" الحكيم المفكّر الهادئ الذي يتطلّع إلى الحياة تطلع رصانة وتقيّد بسنن الأخلاق الخاصة والعامّة.... ترى جميع أبياته حكيمة قريبة المنال بعيدة عن التعقيد والغموض ولا يقول إلاّ ما يعرفه جميع النّاس"[2].

فهو يصوغ حكمه من فلسفة يقودها إليه تأهلّه في الكون والحياة، وإمّا من ثقافة يثقفها ممن سبقوه وعايشوه.

[1] – ينظر: عريرية، هجيرة: تجليّات الحكمة في الشعر العربي، أبي تمام أنموذجاً، المرجع السابق، ص؛ 50.

[2] – جبّار هاشم، نايف قحطان: الحكمة في شعر زهير بن أبي سلمى، جامعة القادسية، 2018م، ص؛ 45.

" لا أحد يجادل في أنّ "المتنّبي " شاعر الحكمة والمثل بامتياز؛ وأنّه لا يوجد شاعر من الشعراء الفحول من يضارعه في هذا المجال، فهو من أبرع الشعراء في الإهتداء إلى الحكمة، وفي ضرب المثل في مختلف المناسبات الإنسانية"[1]؛ فقد أجاد"المتنّبي" في نظم الحكم التي تعدّ الصورة الحقيقية له، " فهو تلك الصورة التي نرسمها له من قراءة حكمه وفهم علاقتها بالزمان"[2].

أمّا "ابن الرومي"، فيقول صاحب الوساطة عنه :" ونحن نستقرئ القصيدة من شعره لا نعتزّ إلاّ بالبيت الذي يروق أو البيتين لا يحصل منها السامع إلاّ عدد القوافي، وانتظار الفراغ؛ أمّا "أبي الطيب" فلا تجد قصيدة تخلوا من أبيات تختار ومعانٍ تستفاد وألفاظ تروق وتعذّب وإبداع بدل على الفطنة والذّكاء"[3].

وقد كان مشهود له عند الشعراء، حيث قبل "أبا العلاء" كان إذا ذكر الشعراء، يقول : قال : "أبو نواس" كذا، وقال : "البحتري" كذا، وقال : "أبو تمام" كذا، فإذا أراد "المتنّبي"، قال : قال : الشاعر كذا تعظيماً له"[4].

" والحقيقة أنّ الحكمة في تاريخ الأدب العربي لم تتّصل هذا الاتّصال الوثيق بالجوّ الشعري، كاتّصالها عند "المتنّبي" حتى في الشعر الجاهلي، لم يتحققّ هذه الإنصهار بين الفكر والشعر إلاّ

[1] – بنهشوم، العالي: أبو الطيب المتنّبي من خلال المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لأبي القاسم السجلماني، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد 11، 2015م، ص؛ 23.

[2] – المقدسي، أنيس: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، لبنان، ط17، 2015م، ص؛ 23.

[3] – ينظر: الجرجاني، علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنّبي وخصومه، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البحاوي، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ط، 1966م، ص؛ 54.

[4] – مصطفى السقا، محمد شتا، عبده زيادة عبده: الصبح المنّبي عن حيثية المتنّبي، دار المعارف، ط3، 2019م، ص؛ 72.

بأبيات نادرة عن قلّة من الشعراء كطرفه في حين أنّها لم تخل من جفاف وسطحية وملاحظات عادية فردية عن "زهير بن أبي سلمى"[1].

وفي الختام نستنتج؛ أنّ المتنّبي حظي بمكانة مرموقة بين الشعراء، فهو السيد الفيلسوف، الذي تعلّم من الحياة فسطّر أبياتاً كتتبت له الخلود والتربّع على عرش شعراء الحكمة.

❁ الآراء النقدية في حكم المتنّبي:

عاش "المتنّبي" في العصر الحديث من شعره، وتوّفر الناقدين على درسه واهتمام الباحثين والمؤرخين بشخصيته، وكأنّه لا يزال حيا يرزق، فلا تسمع إلاّ من يغدق الثناء عليه أو ينحي باللائمة ولا نجد في الأحياء إلاّ من يذكره مستحسناً أو مستهجن.

" وقد عيب على "المتنّبي" أشياء كثيرة في شعره ذكرها جهابذة النقد، فقد عابوه في اللفظ وقد عابوه في المعنى؛ وقد عابوه في المناسبة؛ ومثل "المتنّبي" من يعاب ومن يجتهد أهل النقد بأن يثبتوا له نقصاً، لأنّ الحسناء هي التي لكمال حسنها يبحث لها النّاس عن مكانٍ لا يستوفي فيه التناسب حقّه حتى يجدوا فيه ذامّاً "[2].

" وإنّ عداء بعض الناس للمتنّبي وافتنان الآخرين به أوجد مكاناً لموقف آخر هو موقف النقاد الذين باعترافهم بفضل "أبي الطيب"، رفضوا الإغضاء من عيوب ديوانه، وكان من أبطال هذه الدعوى، في آواخر القرن الرابع هجري العاشر ميلادي؛ القاضي "الجرجاني" صاحب فضل الزيادة،

[1] –معتوق، جورج عبدو: المتنّبي، المرجع السابق، ص؛ 10.

[2] – شرارة، عبد اللطيف: أبو الطيب المتنّبين المرجع السابق، ص؛ 87.

والذي ألّف كتاباً سمّاه الوساطة بين "المتنّبي" وخصومه حاول فيه إظهار صحة العيوب التي رمي بها الشاعر، وكذلك ما ناله بحق من إطراء المعجبين به"[1].

ويرى معظم النقاد المعاصرين؛ أنّ المتنّبي لم يكن فيلسوفاً، لم يأخذ حكمته من أحد، وقد تدخلت ظروف الحياة في هذا النهج للمتنّبي:

✍ ويعتبر الأستاذ "**أحمد أمين**": من أصحاب هذا الرأي، فكتب مقالة تحت عنوان ك هل كان المتنّبي فيلسوفاً "

يقول في جزء منها :" يخطئ من يظنّ أنّ لـ :" أبي الطيب" فلسفة تشمل العالم، وتحلّ مشاكل الكون، فتلك بالفيلسوف أشبه، وربّما قارب هذه المنزلة "أبو العلاء" لا "أبو الطيب"[2]؛ ويرى أنّ حكم المتنّبي منبعها نفسه وتجاربه وإلهامه لا الفلسفة اليونانية وحكمها ذلك لأنّ الحكم ليست وقفاً على الفلاسفة ولا على من تبحّروا في العلوم والمعارف، فقد " قرأ "المتنّبي" دواوين الشعراء ولقي كثيراً من علماء الأدب واللغة، كالزجاج و"ابن سرّاج" و"الأخفس" و"ابن دريد" وكل هؤلاء لا شأن لهم بالفلسفة ومناهجها، ولو رجعنا لحكمه لوجدناها منطبقة تمام الإنطباق على محيطه ونفسه، وليس فيها أثر من تقليد – ولا شبه من تصنّع فهو ينظّم ما يجول عن نفسه وما دلّته عليه تجاربه، لا ما نقل إليه من حكم غيره، إلاّ في القليل النادر"[3].

✍ **الدكتور محمد منذور:**

[1] – بلاشير، ريجيس: أبو الطيب المتنّبي – دراسة في التاريخ الأدبي، المرجع السابق، ص؛ 382.

[2] – السعدي، عيسى إبراهيم: أبو الطيب المتنّبي شاعر الحكمة، المرجع السابق، ص؛ 57.

[3] – السعدي، عيسى إبراهيم: المرجع نفسه، ص؛ 59.

تتبّع ما كتبه "أحمد أمين" في مجلّة الهلال سنة 1935م، تحت عنوان : "هل كان المتنّبي فيلسوف ؟"فوجد أنّ العلاقة واضحة بين شعر المتنبي وحياته إلا أنه رأى أن نظرة "أحمد أمين "كانت ضيقة وسريعة تحتاج إلى مناقشة ورد الكثير منها، فقسم "محمد منذور" حكمة المتنبي حكم إجتماعية أخلاقية، من بعضها تجارب الحياة وحكمة فلسفية نظرية تابعة من تأثّره بالفلسفة، لأن العبارات بحكمته مصبوغة بصبغة فلسفية والمعني كذلك في كثير من الأحيان، ويرى أنّه ماكان للمتنبي ليصل إلى هذه المعاني الفلسفية، لو لم يكن مثقفًا فلسفياً، فهو يعتمد على كثير من أقوال الفلاسفة، أمّا حكمته الإجتماعية فهي إنعكاس لحياة المجتمع وعاداته وأخلاقه والتي كان "المتنبي" على دراية بها للاتصال المباشر بينه وبين قطاعات المجتمع على إختلاف طبقاته.

طه حسين:

"صدق "طه حسين" أعداء "أبي الطيب" فيما لفقوه عن قرمطيته وزعموه من ضعف نسبه ويكذّب الشاعر في تأكيده أنّه من قوم تأنف نفوسهم أن تسكن اللحم والعظم، ولا يقيم وزنا للتحدّي الذي جوبه به "المتنبي" في طموحه وكبريائه، ولاينظر في التلفيقات والدسائس التي حاكها حاسده في مواقف تهيمن عليها السياسة من الألف إلى الياء[1]، وتتحكم بها النزاعات العنصرية والأحقاد الشخصية في الوقت الذي يبيّن به، ويتشدّد في بيان الفساد الذي كان يهيّمن على سياسة ذلك الزمن"[2].

[1] – شرارة، عبد اللطيف: أبو الطيب المتنّبي، المرجع السابق، ص؛ 84.

[2] – شرارة، عبد اللطيف: أبو الطيب المتنّبي، المرجع السابق، ص؛ 84.

ويعتبر "طه حسين" في كتابه (مع المتنبي) "أبي الطيب" مصدرًا من المصادر التي تأثر بها "المعري " أبعد التأثير ويسوق في كتابه المذكور قول" المتنبي":

يَدْفُنُ بَعْضَنَا بَعْضًا وَيَمْشي *** أَوَاخِرَنَا عَلَى هَامْ الأَوَالِي

وَكَمْ عَيْنٍ مُقْبِلَة النَّوَاحِي ***كَحَيْلِ بِالجَنَادِلِ وَالرِّمَال

ويوضح تأثر "أبي العلاء" بهذا القول في قصيدته التي يقول فيها :

صَاحَ هَذِي قُبُورُنَا تَمْلَأُ الرَّحْبَ *** فَأَيْنَ القُبُورَ مِنْ عَهْدِ عَادِ.

خَفِّفْ الوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الأَرْضِ *** إِلَّا مِنْ هَذِهِ الأَجْسَادِ.

ويقول" طه حسين" مفرقا بين القولين من جودة "وما أراني في حاجة إلى أن أنبّهك إلى أنّ هذين البيتين قد أثرا في التشاؤم العلائي وما شاء عنه من فلسفة تأثيراً بعيداً عميقاً، ولكن أي فرق في الأداء فاقرأ هذين البيتين ثم إقرأ دالية "أبي العلاء" وانظر كيف استطاع الشاعر "المعري" أن يستغل هذا المعنى ويصوره في أروع الشعر"[1].

✍ **عباس محمود العقاد:**

لقد شاء الأستاذ "عباس محمود" العقاد في كتابه: مطالعات في الكتب والحياة أن يجعل من المتنبي فيلسوف ويرفعه إلى مقر الفلاسفة العصريين فيجعلّه جنب "نيتشه"؛ بل ويجعله سابق "نيشته" موفقاً بينه وبين الفيلسوف البريطاني دارون، غير الكثير من النقاد خالفوه وذلك تحت

[1] – ينظر: معتوق، جورج عبدو: المتنبي شاعر الشخصية القويّة، المرجع السابق، ص؛ 211.

حجة أن الحكمة لا تألف مذهبًا فلسفيًا متكاملًا وأنّه من العبث إعتبار "المتنبي" فيلسوفاً ومقابلته بالفيلسوف الألماني "نيتشه"" [1].

وبيّن الشاعر والفيلسوف أوجه شبه ولكنّ بينهما إختلافات جذرية يمتنع معها المضي في المقابلة، إنّ فلسفة "نيتشه" القائمة على خلق "الإنسان المتفوق" فلسفة ثورية شاملة زعزعت القيم الأخلاقية، وقبلت المقاييس في الفكر الأوربي، وكانت على أساس الدعوات العنصرية ومن نتائجها الإجتماعية والسياسية الحرب العالمية الثانية، في حين أنّ الثورة "المتنّبي" بقيت إنسانية في صميمها نابعة من ضمير يؤمن بقضية أمّة مغلوبة على أمرها، يحاول أن ينهض بها ويرد إليها حقها المسلوب.

شوقي ضيف:

"كان الدكتور شوقي ضيف متفردا بصفاء ذهنه وسعة اطلاعه، وقدرته على التمحيص التاريخي الذي ينقص المستشرقين عامة، حتى ليصح القول في شأنه أنه (باحث) عبقري في مجالات الأدب و النقد و الدراسات اللغوية، و لا تنطبق هذه الصفة على غيره من النقاد بنسبة ما تنطبق عليه أما رأيه في المتنبي فيتلخص في فصل طويل عنوانه العروبة في شعر المتنبي يوجد في كتابه فصول في الشعر و نقده، وكان قد بين في حديث سابق عن (تجديد العباسيين في الشعر) أن المتنبي أدخل في

[1] – ينظر: معتوق، جورج عبدو: المتنبي شاعر الشخصية القويّة، المرجع السابق، ص؛ 211.

مضمون الشعر العربي مادة جديدة خصبة و قد بلغت أبعد ما ينتظر لها من نمو عند تلميذه أبو العلاء" [1].

عبد الوهاب عزام:

يستدل الدكتور عزام من دراسته لأبيات المتنبي في كتابه (ذكرى أبي الطيب المتنبي)،إلى أنه قرأ كثير من المعارف الشائعة في القرن الرابع، من ذلك قوله في هجاء كافور :

أَلا فَتَى يُورِدُ الهِنْدِيَ هَامَتُهُ*** كَيْمَا تَزُول شُكُوكَ النَاسِ وَ التُهَمُ

إِنَهُ حُجَةٌ يُؤْذِي القُلُوبَ بِهَا *** مَنْ دِينُهُ الدَهْرُ وَ العِطَلُ و القِدَمُ

" ثم يدعم رأيه بقوله أن المتنبي استفاد من مطالعة الكتب و أنه كان يطالعها قبل أن يهجع ،كما كان يلازم حوانيت الوراقين و يحمل معه كتبه في أسفاره ، و يحرص عليها "[2]

و بالاضافة إلى رأي الدكتور عزام ما ذكرناه أن الفرابي عاش في بلاط سيف الدولة، وكان إلى جانبه المتنبي الذي تأثر بما نشره الفرابي في تلك البيئة من مبادئ الفلسفة، فالأدلة إذا تدعم القول بأن المتنبي أخذ عن الثقافة الفلسفية،و لم يقتصر على اللغة و الأدب و قد وجدنا في شعره أثرا للصياغة الفلسفية في الحكمة التجريبية، و لقد غلب على فلسفته الطابع الاجتماعي و التجربة الحياتية التي تعتمد على دراسة المجتمع، و سبر أغوار نفسه و تصوير أحواله النفسيةن لأن الميدان الاجتماعي هو الذي خاض المتنبي غماره وعرف أسراره بما كان يموج به من تناقضات إجتماعية ألبسها المتنبي ثوبا

[1] - ينظ: شرارة، عبد اللطيف: أبو الطيب المتنبي، المرجع السابق، ص؛ 86.

[2] - السعدي، عيسى ابراهيم: أبو الطيب المتنبي شاعر الحكمة، المرجع السابق، ص؛66.

فلسفيا، وأضفى عليها غلالة رقيقة يستشف العقل من ورائها طبيعة المجتمع على حقيقته بصورة ناطقة بعظمة المتنبي و عبقريته القادرة على فهم السلوك الإنساني و مقدرته الفائقة على التكيف مع هذا الجو المليء بغبار الحياة و رمالها التي تحجب الرؤية.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع " النزعة العقلية وتجلياتها في شعر الحكم المتنبي أنموذجا " يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

كانت علوم العرب في الجاهلية تقتصر على ما يحتاجون إليه في حياته اليومية فاعتمدوا على عقلهم الفطري وتجاربهم، ولعل من أكبر مظاهر حياتهم الفكرية، لغتهم وشعرهم وأمثالهم.

تطور العقل العربي مع دخول الإسلام وذلك لما حمله الدين الجديد من قيم إنسانية عديدة فقد رسم للناس مثلا أعلى لم يكن سائدا من قبل ورفع من مستوى العقلية العربية وقضى على كل العادات السيئة، ولعلنا نلتمس ذلك بشكل كبير في العصر الأموي خصوصا على مستوى الشعر فقد تطور في مواضيعه وذلك نتيجة لاهتمام الخلفاء به .

أما في العصر العباسي فقد نزع الشعراء للتزود بجميع ألوان العلوم والمعارف ينهلون من تجارب السابقين ومن ثقافة الأمم الأخرى، فبلغ العقل العربي أوج تطورهم مما نتج عن ذلك مما نتج عن ذلك طول النظر و الخبرة.

جاء الشعر العربي حافلا بالعديد من الأغراض ولعل الغرض البارز الذي يدل على رقي عقليتهم غرض الحكمة.

الحكمة هي حقيقة إنسانية تعبر عن وجهة نظر صاحبها، وقول ناتج عن تجربة وخبرة ودراية بالأمور ومجرياتها.

في العصر الجاهلي استمد العرب حكمهم من التجارب اليومية للحياة، فكانت حكمهم صادقة معبرة و ذات صلة وثيقة بالوجدان الإنساني، ومن الشعراء اللذين جرت على ألسنتهم الحكمة زهير بن أبي سلمى وعبيد بن الأبرص، إضافة إلى بعض شعراء الصعاليك التي أنتجت الظروف القاسية التي عاشوها شعرا يفيض حكمة، من بينهم عروة بن الورد و تأبط شرا .

خاتمة:

في العصر الإسلامي أصبحت الحكمة وثيقة بالدين، معبرة عن الأخلاق الجديدة متخذة من المثل العليا التي جاء بها القرآن الكريم ورددها الرسول العظيم دستورا وهدفا تدور حوله الحكمة فأصبحت مرادفة للتفقه في أمور الدين والدنيا، ومن بين الشعراء اللذين تضمنت أشعارهم الحكمة كعب بن زهير، وحسان بن ثابت.

في العصر الأموي ظل المفهوم الاسلامي الأول للحكمة سائدا، غير أنها بدأت تتوسع فأخذت ترتبط بالعلم لتشمل من يدرسون الفلسفة، ومن بين شعراء هذه الفترة جرير والشاعر النابغة بن شيبان .

في العصر العباسي أصبح الشعراء يخضعون شعرهم للعقل والفلسفة والمنطق، مضيفين إليه كثيرا من تأملاتهم في الحياة و الطباع، ودخلت روافد الحضارات الهندية و الفارسية واليونانية، نتيجة لحركة الترجمة النشطة ولاشتغال العلماء والأدباء والشعراء بدراسة الكتب المترجمة، فتطور شعر الحكمة بعد أن كان متناثرا في الشعر القديم، صار له شعراء مختصون وقصائد مقصورة عليه، ومن شعراء الحكمة في هذا العصر المتنبي وبشار بن برد وأبو تمام .

اتخذت موضوعات شعر الحكم بعدين مهمين هما : حكم فكرية وأخرى خلقية، فالفكرية تتجلى في الحياة والموت والدهر و تقلباته، أما ما اتصل بالحكم الخلقية فهو الصبر والجهل والحلم...ولكل موضوع من هذه المواضيع أهدافه السامية .

كما اتسعت معاني الحكم باتساع آفاق الثقافة في العصر العباسي، فاتصلت بالأدب والأمثال والفلسفة والزهد .

ومن الشعراء اللذين اشتهروا بالحكمة أبو الطيب المتنبي، الذي كان من أكثر الشعراء العرب احتفاء بها وإيرادا لها في قصائده، فكانت حكمه ذات أبعاد إنسانية عميقة تتناسب مع كل العصور عكست نظرته للحياة و الأخلاق والمجتمع، كما تعددت المصادر التي أثرت في قوله لها فهو لم يقتصر

على مورد واحد ، وإنما كان واسع الثقافة ينهل من كل معين، فكانت حكمه تدل على إلمامه بالفلسفة و كذا بالعلوم العربية و الاسلامية .

يعتبر البعد العقلي في حكم المتنبي بما يتوافر عليه من إقناع، الميزة التي جعلته يتفوق على غيره في هذا الضرب من الشعر وذلك لاهتمامه الشديد بالثقافات ودوام مصاحبة العلماء والفقهاء والأدباء، فاكتسب منهم حسن منطق وسعة إدراك و احترام نفس.

المتنبي لم يخصص قصائد مستقلة وذلك نظرا لاتجاهاته الحكمية، كما أن شعره انفرد بعدة خصائص عبر عنها بلسان فصيح قاطع وعاطفة جياشة، فحكمه تلخص نظرته للحياة بألفاظ وعبارات متقنة، ولعل من أبرز مواضيع شعر الحكمة عنده الحياة والموت وأخلاق الكرام والصديق والصداقة والمرأة والوطن .

و لقد حظي أبو الطيب بمكانة لن تمحوها أباطيل خصومه وما زادته الانتقادات التي تعرض لها سوى خلودا، فهو الذي ملأ الدنيا وشغل الناس كل زمان ومكان ، فشعره الحكمي لا زال على مر العصور قاعدة يسير عليها الناس، قريب من وجدانهم يصلح لأن ينطلق من الإطار المحلي حيث يحلق في سماوات العالم مرددا :

أنَا السَابقُ الهادِي إلى مَا أَقُولهُ إِذَا القَوْلُ قبْلَ القَائِلِينَ مَقُولُ.

الملاحق

ملحق:

تعريف المتنبي:{ 303 هـ، 354 هـ } ، { 915 م ، 965 م }

هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الله الصمد الجعفي، أبو الطيب الكندي الكوفي المولد نسب إلى قبيلة كندة نتيجة لولادته فيها لا لأنه منهم، أخذ عنهم فصاحة اللسان واستقام له الشعر " فكان شاعرا مخلقا شديد العارضة راجح العقل عظيم الذكاء، قدم الشام في صباه وإشتغل في فنون الأدب، ولقي في رحلته كثيرا من أئمة العلم، فتخرج عليهم و أخذ عنهم، وكان من المطلعين على أوايد اللغة وشواردها حتى إنه لم يسأل عن شيء إلا استشهد له بكلام العرب من النظم والنثر " [1] "فكان متعاليا على الناس، شديد الاعتداد بنفسه والإيمان بحقه على أهل زمانه، سعى إليه الممدوحين بدل أن يسعى إليهم، يقول في إحدى قصائد صباه:

إِنْ لَمْ أَكُنْ مُعْجباً فَعَجَبٌ عَجيبُ لَمْ يجدْ فوْق نَفْسِهِ منْ مَزيدِ " [2]

أخذ فصاحة اللسان فاستقام له الشعر، وكان " بعد هذا وذاك ابن الشعر الذي يقهر به الشعراء مهما ينبغوا أو يقهر له النقاد مهما يبرعوا "[3]، مدح الرؤساء والولاة من أهل الشام وخاصة سيف الدولة الحمداني الذي عاش أفضل حياته و أكثرها عطاء في بلاطه،" ثم فارقه وذهب إلى مصر فمدح كافور والإخشيدي، ثم هجاه وفر إلى فارس مارا بالعراق، فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بني بوبه ووزيره ابن العميد، ورجع عنهما بالأموال الكثيرة "[4]، وفي عودته إلى العراق كان مقتله في أواخر رمضان سنة 354 هـ على يد فاتك الأسدي ومعه جماعة من بني أسد و بني ضبة كان أبو الطيب قد هجاهم "[5].

[1] - ديوان المتنبي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000، ط2، 2008، ص؛ 5.

[2] - البرقوقي، عبد الرحمان: شرح ديوان المتنبي، المصدر السابق، ص؛ 22.

[3] - حسين، طه: مع المتنبي ، مرجع سابق، ص؛ 16.

[4] - العميدي، أبي سعد محمد بن أحمد: الإبانة عن سرقات المتنبي، المصدر السابق، ص؛ 5.

[5] - السعدي، عيسى ابراهيم: أبو الطيب المتنبي شاعر الحكمة، مرجع سابق، ص؛ 36.

يعتبر ديوان أبي الطيب المرجع الأول لتاريخ كل شاعر، سجل فيه آراءه وعواطفه، ووصف وقائع مختلفة عرضت له أولا ولأهل عصره، ضم أفضل ما تفتقت عنه عبقريته الخالدة في الحكمة و فلسفة الحياة والمدح والرثاء والوصف والفخر خاصة فهو القائل:

إِنِي وَإِنْ كُنْتُ الأَخِيرَ زَمَانَهُ لآتِ بِمَا لَمْ تَأْتِ بِه الأَوَائِلُ

قال الشعر صبيا فنظم أول أشعاره وعمره 9 سنوات، اشتهر بذكائه الحاد واجتهاده وظهرت موهبته الشعرية مبكرا، وكان صاحب كبرياء وشجاعة وطموح.

ترك تراثا عظيما من الشعر القوي الواضح، يضم 326 قصيدة، تمثل عنوانا لسيرة حياته، صور فيها الحياة خلال القرن الرابع هجري أوضح تصوير ويستدل منها كيف جرت الحكمة على لسانه لاسيما في قصائده الأخيرة التي بدا فيها وكأنه يودع الدنيا.

شعره: " سار المتنبي على نهج القدماء في شعره من حيث الشكل وتأليف الجمل والأسلوب ووزن شعره بموازين بحورهم، وبهذا يكون التزم بالتراث الأدبي القديم إلا أنه أضفى ثوبا جديدا في نظم أشعاره في الأغراض المعروفة، ويمتاز بقوة شاعريته "[1] .

وكان شعره صورة صادقة لعصره وحياته، فهو يتحدث عما في عصره من نزوات واضطرابات، ويدل على ما كان به من مذاهب وآراء ونضج العلم والفلسفة، كما يمثل شعره حياته المضطربة، فذكر فيه طموحه وعلمه وعقله وشجاعته وسخطه ورضاه وحرصه على المال، كما تجلت القوة في معانيه والفصاحة فكانت ألفاظه جزيلة وعباراته رصينة تلائم قوة روحه وقوة معانيه وخصب أخيلته " وكان الشاعر الوحيد بين المتقدمين عليه في الزمن ومعاصريه الذي يعمل عقله في كل شاردة وواردة من شؤون الحياة "[2].

[1]- السعدي، ابراهيم:أبو الطيب المتنبي،المرع السابق،ص؛ 37.

[2] - شرارة، عبد اللطيف: أبو الطيب المتنبي، مرجع سابق، ص ؛ 69.

ولم يكن يعنى كثيرا في إطلاق عباراته بالمحسنات و الصناعة، ومن الجلي أن بقية الأمم لم تحتف بواحد من شعرائها على نحو ما احتفى العرب ويحتفون بالمتنبي إلا في النزر القليل النادر، وربما لقي دانتي لدى الطليان وشكسبير لدى الألمان وهوغولد لدى الفرنسيين من الاهتمام والرعاية ما لقيه المتنبي في الأوساط العربية منذ عشرة قرون وما آنف عليها.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

❖ المصادر:

1) ابن خلدون، عبد الرحمان :المقدمة، الكتب العصرية، بيروت، دط، دت.

2) البرقوقي، عبد الرحمان: شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت،ج2،دط،دت.

3) البرقوقي،عبد الرحمان: شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت،ج1،ط1، 2004.

4) الجرجاني، علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح، محمد أبو الفضل ابراهيم علي محمد البجاوي، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي،د ط، 1966.

الجوزية، ابن القيم: الأمثال في القرآن الكريم،دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت1981 د، ت.

5) دي طرازي،فيليب: خزائن الكتب العربية في الخافقين، دار الكتب اللبنانية، بيروت، د ط

6) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: الأمثال و الحكم، المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الإيرانية، دمشق، 1987.

7) سبيتي، مصطفى: ديوان أبي الطيب المتنّبي، ج1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.

8) العميدي، أبي سعد محمد بن أحمد: الإبانة عن سرقات المتنبي، دار المعارف، مصر، دط 1961.

9) المتنبي، أبو الطيب: ديوان المتنبي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000،ط2، 2008.

❖ المراجع:

1) أبو السعود، سلامة أبو السعود: الأدب في مختلف العصور، العلم و الإيمان للنشر و التوزيع دط، 2007.

2) أبو الليل، أمين: العصر العباسي الأول، الوراق للنشر و التوزيع، دط، 2009.

قائمة المصادر والمراجع :

3) الأثري، محمد نجد: المجمل في تاريخ الأدب العربي، مطبعة العراق، بغداد،ج1، دط 1929.

4) الأسد، ناصر الدين: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت 1956.

5) أمين، أحمد: ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي، دط، 2012.

6) أمين، أحمد: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، لبنان، ط10، 1969.

7) أيوب، ابراهيم: التاريخ العباسي السياسي و الحضاري، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة المدرسة، دار الكتاب،ط1، 1989.

8) البستاني، بطرس: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة ط1 2014.

9) البستاني، بطرس: أدباء العرب في الأعصر العباسية، دار مارون عبود، دط،1979.

10) بلاشير، ريجيس، أبو الطيب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي، تر: ابراهيم الكيلاني ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،دط ،دت.

11) بوفلاقة، سعيد: دراسات في الأدب الجاهلي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة دط، 2006.

12) الجبوري، يحي: الشعر الجاهلي خصائصه و فنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5 1986.

13) جرجي، زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، دط، 2012.

14) جرجي، زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، لبنان، ج3، دط، دت.

15) الجواري، أحمد عبد الستار: الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط2 ، 1991.

16) الحاج، حسن حسين: حضارة العرب في صدر الاسلام، المؤسسة الجامعية، لبنان ط1 دت.

17) الحامد، تامر سليمان: تأثر الأدب العربي بالآداب الأخرى،جامعة الملك سعود السعودية، دط، 1433

18) الحداد، فيصل مفتاح: أنواع الأمثال و الحكم و نماذجها المختارة، دار الكتاب الوطنية ليبيا، ط1،2008.

19) حربي، خالد: بنية الجماعات العلمية العربي الإسلامية رؤية جديدة في الأسس المعرفية دار الوفاء، ط1، 2004.

20) الحسني، محمد فؤاد القاسمي: موقظ الهمم في شرح الحكم، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، دط، 2014.

21) حطيط، كاظم: أعلام و رواد في الأدب العربي، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، دط 1987.

22) الحوفي، أحمد محمد: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر، ط2 دت.

23) خفاجي، عبد المنعم: الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، ط1 1992.

24) خليفة، علي: الأدب في العصر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، ط1 2014.

25) خليل، عماد الدين: مؤشرات حول الحضارة الإسلامية، دار الصحوة للنشر و التوزيع دط، دت.

26) دراقي، زبير: المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ط7 1994.

27) الدفاع، علي عبد الله: لمحات من تاريخ الحضارة الاسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة دار الرفاعي، الرياض، دط، دت.

28) الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، المنصورة، دط، دت.

29) ربيع ، محمد أحمد: دراسات و أبحاث في الأدب في الأدب العربي، مؤسسة الوراق ط1، 2011.

30) رشدي، محمد: مدنية العرب في الجاهلية و الاسلام ،مطبعة السعادة، مصر، دط 1911.

31) رشيد، ناظم: الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب، الموصل، دط، 1989.

32) الريني، محمد عبد الرحيم: حقيقة الموت بين الفلسفة و الدين، دار اليقين للنشر و التوزيع، مصر، ط1، 2011.

33) الزبيدي، مهدي صلاح: دراسات في الشعر العباسي، الأكاديميون للنشر و التوزيع ط1، 2010.

34) الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، لبنان، ط13، 2009.

35) سقال، ديريزة: العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1 1972.

36) سلامة، يسري: الحكمة في شعر المتنبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الاسكندرية ط1 ، 2009.

37) الشاوي، محمد بن صالح: حكم مختارات من عيون الشعر و الأدب، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 2012.

38) شرارة، عبد اللطيف: أبو الطيب المتنبي دراسة ومختارات، الشركة العالمية للكتاب ط1 1988.

39) شعيب، محمد عبد الرحمان: المتنبي بين ناقديه في القديم و الحديث، دار المعارف مصر دط، 1964.

40) شكري، عبد الرحمان: دراسات في الشعر العربي، تح: محمد رجب البيومي، و الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1994.

41) شلبي، أبو زيد: تاريخ الحضارة الإسلامية و الفكر الإسلامي، مكتبة وهبة ،القاهرة دط، 2012.

42) الشورى، مصطفى عبد الشافي: شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية، مكتبة لبنان ،دط ،دت.

43) شوقي، ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط11 دت.

44) شوقي، ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة ط8 دت.

45) شوقي، ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات الشام، دار المعارف القاهرة ، ط2 ، دت.

46) شوقي، ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط11.

47) الشيخ،حسين: العرب قبل الإسلام، دار المعرفة، دط، 1993.

48) الصعيدي، عبد المتعال: تاريخ العرب في الجاهلية و صدر الإسلام، دط، 1933.

49) طقوش، محمد سهيل: تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، لبنان، ط7، 1431.

50) طقوش، محمد سهيل: تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، لبنان، ط1، 2009

51) طلس، محمد أسعد: التربية و التعليم في الاسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، دط 2014

52) طه، حسين: مع المتنبي، دار المعارف، ط13، دت.

53) عبد الحميد علي، عبد الرحمان: الأدب العربي في العصر الإسلامي و الأموي، دار الكتاب الحديث، دط، 2005.

54) عبد الفتاح، عصام: الشعر الجاهلي أشهر الشعراء الجاهليين حياتهم أشعارهم و المعلقات السبع و العشر، كنوز للنشر و التوزيع، القاهرة، دط، دت.

55) عروة، عمر: حياة العرب الأدبية الشعر الجاهلي، دار مدني، دط، 2004.

56) عزام، عبد الوهاب: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، شركة نوابغ الفكر، مصر، ط1 2013.

57) عطية، محمد هاشم: الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي دط 1997.

58) العمر، ناصر بن سليمان: الحكمة، دار الوطن للنشر، الرياض، ط 1، 1412.

59) عوض، ابراهيم: المتنبي دراسة جديدة لحياته و شخصيته، دار الكتاب، دط 1986.

60) العيثاوي، أحمد حسن: دراسات أدب العرب قبل الإسلام، دار دجلة، ط1،2011.

61) الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، دار الجيل، بيروت ط1،1986.

62) فروخ، عمر: العرب في حضارتهم و ثقافتهم إلى آخر العصر الأموي، دار العلم للملايين، بيروت، دط، 1966.

63) فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت،ج1، ط4، 1981.

64) فروخ، عمر: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، لبنان ط1 1972.

65) قريب الله، حسن فاتح: الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الإسلامية، مطبعة الأمانة مصر، دط، دت.

66) القسطاوي، رمضان خميس: الأدب في مختلف العصور، العلم و الإيمان للنشر و التوزيع، دط، 2007 .

67) لوبون، غوستاف: حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، دط 2012.

68) مجيب، حسن: صلات بين العرب و الفرس و الترك دراسة تاريخية أدبية، دار الثقافة دراسة تاريخية أدبية، دار الثقافة للنشر، دط، دت.

69) محاسنة، محمد حسين: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2000

70) المحامي، محمد كامل حسن، المتنبي، المكتب العالمي للطباعة و النشر و التوزيع بيروت دط، 1998.

71) محجوب، عباس: الحكمة و الحوار علاقة تبادلية، عالم الكتب الحديث، دار الكتاب العالمي، الأردن، دط، 2006.

72) محمد، سراج الدين: الحكمة في الشعر العربي، دار الراتب، لبنان، دط، دت.

73) محمود، عرفة محمود: العرب قبل الإسلام بين الدراسات و البحوث النسانية و الإجتماعية، القاهرة، ط1، 1995.

74) معتوق، جورج عبدو: المتنبي شاعر الشخصية القوية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، لبنان، ط3، 1985.

75) معوض، سليمان: مدخل إلى الأدب العربي، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، دط 2014.

76) المقدسي، أنيس: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، لبنان ط17، 1989.

77) مكي، الطاهر أحمد: دراسة في مصادر الأدب، دار الفكر العربي، القاهرة،ط8 1999.

78) مهدي الرحيم، عبد الحسين:تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة طرابلس، دط، 1995.

79) نافع، محمد مبروك: عصر ما قبل الاسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، دط،2017.

80) نزار، يوسف: الحكمة بين الاله و السلطان، وزارة الإعلام السورية، دط، 2008.

81) هدارة، مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، دار العلوم العربية، ط1 1989.

قائمة المصادر والمراجع :

❖ الرسائل الجامعية:

1) حسين، شلوف: شعر الحكمة عند المتنبي بين النزعة العقلية و المتطلبات الفنية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2006.

2) الخوالدة، محمد أحمد: تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي، مذكرة ماجستير، جامعة فيلاديلفيا، 2016.

3) الصراف، ورود وليد محمود حسين: أشعار الحكمة في ديوان الحماسة لأبي تمام دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، 2005.

4) عزيرية، هجيرة: تجليات الحكمة في الشعر العربي "أبي تمام " أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماستر، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم ،2017.

5) كامش، أحمد: الأمثال العربية القديمة و قيمتها و دورها في تصوير الحياة العربية، رسالة ماجستر، جامعة قسنطينة، 2003.

❖ المجلات و المقالات :

1) أبو بشير، بسام علي: الحكمة في شعر الشافعي دراسة فنية، غزة، مؤتمر الإمام الشافعي.

2) أبو مصطفى، يونس ابراهيم: فلسفة الحكمة و الفخر في شعر مسكين الدارمي، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 11، العدد 1، 2017.

3) بنهشوم، الغالي: أبو الطيب المتنبي من خلال المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لأبي القاسم السجلماسي، مجلة البحوث و الدراسات الإنسانية، العدد 11، 2015.

4) توفيق، عمر ابراهيم: الحكم و المواعظ لابن ليون التجيبي، دار غيداء، الأردن، ط1 . 2011

5) جبار، هاشم ، نايف، قحطان: الحكمة في شعر زهير بن أبي سلمى، جامعة القادسية 2018.

6) رضابي، أبو الفضل: الحكمة في معلقة زهير بن أبي سلمى، مجلة اللغة العربية و آدابها السنة الثانية، العدد 4.

7) طه، غالب طه: الحكمة الإنسانية و المثالية في شعر الخنساء استبصار استقرائي في الثمات و الثقافات، مجلة روى فكرية، العدد 5، 2017.

8) كفافي، محمد ديب: شعر الحكمة عند الشعراء النصارى في العصر الاموي من منظور إسلامي، مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية، العدد 2، 2010.

9) مجاهد، مسعود أحمد: الحكمة في شعر طرفة بن العبد، مجلة القسم العربي، العدد باكستان25، 2018.

10) ناصر الدين، يعقوب: مفهوم الحكمة و أبعادها شرعا و وضعا، جامعة الشرق الأوسط، عمان، 2013.

11) نسرين، طاهر ملك: النثر الجاهلي و الإسلامي و الأموي دراسة تحليلية،مجلة إيكتاإسلاميكا، المجلد 2، العدد 1، 2014.

فهرس المحتويات

البسمـــــــــــلة.

شكر وتقديـــــــر.

إهـــــــــــداء.

مـــــقدمة:.....أ

*****

❖ **الفصل الأول: النزعة العقليــة من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي**.....**05**

✍ **المبحث الأول:** النزعة العقـــــلية عند العرب الجاهلين.....**05**

❁ **مظاهر الحياة العقلية عندهم:**.....**05**

❁ اللغـة:.....05

❁ الشعـــر: 06

❁ المثل: 07

❁ علوم العرب في الجاهلية:.....**07**

✍ **المبحث الثاني:** النزعة العقلية في عصر صدر الإسلام.....15

❁ **العلوم العقلية في أوائل الإسلام:**.....15

❁ **العلـــــوم العقلية في العصر الأموي:**.....**18**

✍ **المبحث الثالث:** النزعة العقلية في العصر العبـــاسي.....**24**

❁ **دواعي تطور العقـــل العربي وتأثير الثقافات فيه:**.....**24**

❁ **العلـــــوم العقلية في العصر العباسي:**.....**32**

❁ الفلسفة والفلاسفة:.....32

❁ في الطب والأطبـــــاء:.....33

❁ في علم الفلك والفلكيون:.....34

❁ في التأريخ والمؤرخـــــون:.....35

❁ في الجغرافـــــــــيا: 35

❖ **الفصل الثاني: شعـــــــر الحكم**.....**38**

✍ **المبحث الأول:** مفهوم الحكم وتجلياتها في الشعر.....**38**

❁ **الحكمة ومفهومها** :.....**38**

- الحكمة في القرآن الكـــــريم: **41**
- مفهوم الحكمة في السنة النبوية الشريفة:.....42
- الحكمة في الفكر الإنســـاني:.....43
- الحكمة في الشعر العـــربي:.....43

شعر الحكم في العصر الجاهلي:.....44

* حكمة الخلاص من الفقر والجوع:.....48
* حكمة المروءة:.....48
* حكمة من الموت والإغاثة :.....49

شعر الحكم في عصر صدر الإسلام : 49

* شعر الحكم في العصر الأموي: 53
* شعر الحكم في العصر العباسي:.....55

المبحث الثاني: مناهل الحكمة في الشعر العربي وخصائصها..... **59**

مناهل الحكمة في الشعر العربي:..... 59

مناهل الحكمة في العصر الجاهلي: 59

- المؤثرات الأجنبية:.....59
- التجارب الذاتية:.....59

مناهل الحكمة في العصر الإسلامي:..... 60

- تطور الموروث الثقافي:.....60
- نمو التجارب الذاتية:.....60
- المؤثرات الأجنبية:.....61

موضوعات شعر الحكم:..... 61

حكم فكرية:..... 62

- الحياة والموت:.....62
- الدهر:.....64
- الخير والشر:.....64

حكم خلقية:..... 65

- الصبر:.....65
- الحلم والجهل:.....65

۞ الصديق:.....66

❁ علاقة شعر الحكم بالأدب والفلسفة والزهد والمثل:.....67

۞ علاقة شعر الحكم بالأدب:.....67

۞ علاقة الحكمة بالفلسفة:.....68

۞ علاقة الحكمة بالزهد:.....70

۞ علاقة الحكمة بالمثل:.....71

❁ الخصائص الفنية لشعر الحكم:.....73

❖ الفصل الثالث :شعر الحكم عند المتنّبي.....77

✍ المبحث الأول : مصادر الحكم في شعر المتنّبي ومظاهر البعد العقلي فيها.....77

❁ مصادر الحكمة عند المتنبي:.....77

۞ المصادر الأصلية:.....77

ᘓ تأثّره بالقرآن الكريم والحديث الشريف:.....78

ᘓتأثره بالشعراء المسلمين وثقافته بهم:.....78

ᘓتأثّره بحكم الجاهلية: 79

۞ المصادر الأجنبية: 80

❁ مظاهر البعد العقلي في الشعر الحكم عند المتنّبي:.....82

✍ المبحث الثاني: خصائص حكم المتنّبي وموضوعاتها.....87

❁ خصائص حكم المتنّبي: 87

۞ عمق الإستجلاء وصفاء التمثيل ودقّة الإشارة:.....87

۞ تجريبية النظرة وطلاوة الأداء:..... 88

۞ موضوعية الرؤية وأحكام البناء وحسن سياقه: 88

۞ الإعتدال الواقعي وإعادة التمثيل والتصوير: 88

۞ الوصولية وفصاحة الإيجاز: 89

۞ سدادة النظر وإجادة الإيصال: 89

۞ عملية الإستجلاء ودقّة التبيّن: 90

۞ صدق التجلّي وشمولية الإبانة: 90

❁ موضوعات شعر الحكم عند المتنّبي:.....91
❁ الحياة والموت:.....92
✓ الحياة:.....92
✓ الموت: 93
❁ أخلاق الكرام: 94
✓ الحلم والعفو:.....95
❁ الصداقة والصديق: 96
❁ المرأة والوطن:.....97
✓ المرأة: 97
✓ الوطن:.....99
✍ المبحث الثالث: مكانة المتنّبي بين شعراء الحكم وآراء النقاد فيه.....101
❁ الموازنة بين شعر الحكم عند المتنّبي والشعراء الآخرون:.....101
❁ الآراء النقدية في حكم المتنّبي:.....104
❁ أحمد أمين:.....105
❁ محمد منذور:.....106
❁ طه حسين:.....106
❁ عباس محمود العقاد:.....107.
❁ شوقي ضيف:.....108
❁ عبد الوهاب عزام: 109
******
الخاتمة:.....112
الملاحق:.....116
قائمة المصادر والمراجع:.....120